

العددان الأول والثاني

السنة الحادية عشرة، ٧

(جمادى الثاني: رمضان سنة ١٣٦٣ - يولييه: أكتوبر سنة ١٩٤٤)

صحيفة دار العلوم

نصرها: جماعة دار العلوم،

كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب حجاب

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السبامى بيومى

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

في القطر المصرى ٢٠ قرشاً

خارج القطر ٣٠ قرشاً

من العدد ٥ قروش

إِنْ سَاحًا مَدَقًّا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ ابْنُ مَوْتٍ
اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَأَنْ يُجِيبَ الْوَجْدَ مَا تَمَوَّتَ فِي كُلِّ مَكَابٍ
وَنَحْيَا فِي أَمِيرِ الْعُلُوَّةِ

طابث واثم الشيخ مؤيد



15

ZE

83

شخصية امرىء القيس

للسنان علي النجدي ناصف

إذا تحدث الناس عن الشعر العربي : أیه أعرق فناً ، وأكثر ابتكاراً ، وأفخم
بنية ، وأیه أجهر في الزمان صوتاً ، وأشيع رواية ، وأبعد في الأدب أثراً — كان
شعر امرىء القيس حقيقاً أن يذكر أولاً ، وأن يجرى الحديث عنه على سنن من
الاعتراف وقلة الاختلاف يندر أن يجرى على مثله في شعر أى شاعر آخر .
وإذا تحدث الناس عن شعر الانسانية عامة ، يعلو على حدود الاوطان ، ويتحرر
من قيود : الاجناس واللغات ، كان شعر امرىء القيس أيضاً حقيقاً أن يتحدثوا عنه ،
وأن يجدوا فيه من دلائل العبقرية والاختصاص بالمزية ما يجعل الحديث عنه طويلاً
والاعجاب به عظيماً . فلامرء القيس من العمل للشعر والتأثير فيه مالا نعرف مثله
لشاعر آخر من شعراء العربية ، لقد فتح للشعراء أبواباً ، ومهد لهم سبلاً ، ودلهم
على أفانين في التصوير والتعبير لاعد لهم بها من قبل ، ثم هو قد أقام من شعره
مرضاً فنياً حافلاً ، تراءى فيه سمات عصره ومعالماً يئس ، وتمثل فيه أهواء نفسه
ومواجد حسه ولحات ذهنه واضطراب الاحوال به ، كأحسن ما يكون التمثل :
صدق تعبیر ، وبلاغة تأثير . ويوشك شعره من هذه الناحية أن يكون ترجمة لحياته ،
واشرافه باقية في طلقات عصره وبيته .

ولقد يكون من الاسراف أن نقول عن أعمال امرىء القيس للشعر مثل ما قال
الأقدمون عن الأوليات التي يفسبون اليه ، فنزعم أنه لم يسبق إلى شيء منها ، وأن
الشعراء الذين تقدموه لم يخلفوا في أشعارهم ما يدل على أنهم عرفوها أو فكروا فيها
ولكننا نعتقد أننا لانفلو ولا نجاوز الحقيقة الواقعة حين نقول أن امرأ القيس يتفرد

في هذا المجال بترتين ، هيات أن يكون له فيما شريك أو منازع من الذين سبقوه .
الاولى أن أعماله للشعر لم تقع له عفوا بلا وعى ولا قصد ، لأنه أكثر منها ونوع
فيها على نحو لا يتبها لغير عامل مريد . والآخرى أنه بفضل هذه الكثرة وهذا التنوع
قدلفت اليها الشعراء وأغراهم باصطناعها ، فتناولوها بالتقليد والمحاكاة ، أو بالتحويل
والتحذيق ، أو بالاضافة اليها والتوليد منها أو الابتكار على مثالها : كل شاعر وما
تيسر له ، وكل نوع على حسب طبيعته ، فكان للشعر من ذلك خير كثير . ومن
هذه الأعمال :

١ - وضع الأسس الأولى لمحسنات البديع . فقد أكثر في شعره من
التصريح ، لا يختص به مطالع القصائد ، ولكن يشيعه في أثنائها أيضا .
كقوله :

ديار لسلى عافيات بذى الخال ألح عليها كل اسحم هطال
وقوله :

أجارتنا ما فات ليس يثوب وما هو آت في الزمان قريب
وقوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ، وما الاصبح منك بأمثل
وقوله :

أفأطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزعجت صرعى فاجملي
واستكثر كذلك من التصريح أو ما يقاربه
كقوله

فللساق أهوب ، وللوسط درة وللزجر منى وقع أهوج منعب (١)
وقوله :

له أبطلا ظي ، وصافا نعامه وإرخاء سرحان وتقريب تنقل (٢)

(١) الاهوب : شدة جرى الفرس . المرة : يراد بها جرى اللين . المنعب : الفرس الجواد
بعد عنقه في العدو .

(٢) الايطل : الحاصرة الارغاء ، نوح من عدو الذئب . التقريب وضع الرجلين موضع
اليدين في العدو التنقل ولد الثعلب .

وقوله :

ألم الضروس ، حتى الضلوع تبوع ، طلوب ، نشيط ، أشر (١)

وقوله :

كان المدام ، وصوب الغمام وريح الخزامى ، ونشر القطر
يعمل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر (٢)

وقوله :

سلم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال (٣)

وقوله :

فتور القيام ، قطع الكلا م ، غفر عن ذى غروب خصر

وقوله :

وقافها ضررم ، وجريها حذرم ولحما زيم ، والبطن مقبوب (٤)

ونلاحظ هنا أن التصريع في الشعر يعادل السجع في النثر ، وأن الترصيع مزاج من السجع والموازنة جميعا . فهل كان السجع إذا هو النموذج الذى صنع التصريع على مثاله ؟ وهل كان التزامه في النثر أو انتشاره فيه هو الذى أغرى بالاستكثار من التصريع وبثه في خلال القصيد ؟ وهل كان السجع أيضا صنو الموازنة وقسيمها في صنع الترصيع ؟ وهل كان الترصيع هو الحلقة الأولى والترصيع هو الحلقة الثانية في سلسلة زخارف البديع ؟ لا شيء من هذا يبيد . ونلاحظ هنا أيضا أن موسيقا الترصيع تجري على نمط مامن موسيقا الطبيعة في البادية وهذه هي الآليات المرصعة التى أسلفنا رؤيتها ، عد إليها فافقأها ، وألق بالك إلى ما تحدث موسيقاها من حركات ، وترسل

(١) الأعر المتصق لاسنان بعضها إلى بعض

(٢) المستحر : الصوت في السجر .

(٣) الشظى : عظم لازق بالذراع . العبل : الضخم . الشوى : اليدان والرجلان . الشج :

المتقبض النسا : عرق في الفخذ الحجبات : رؤوس عظام الوركين الفال : اللحم الذى على الورك

(٤) الوقاف الموافقة في حرب أو خصومة الفرم : العدو والحكم الماضى الزيم : الشديد

الاكتناز المقبوب : الضامر

من أنعام ، عسى أن تحس منها كما أحسست أثاره من اهتزاز الركبان على ظهور الابل
جثة وذهايا ، وعسى أن تسمع منها مثل ما سمعت صدى تجاوب الماشية الراحية ،
وتنسم الريح اللاهثة ، يتناوحن على نحو مامن تقارب المسافات والأقدار ، وتمائل
النغم والايقاع . فهل كانت موسيقا البادية هي ملهمة فكرة الترصيع ؟ وكان السجع
والموازنة مادته في الخلق والتصنيع : من الطبيعة كانت الروح والفكرة ، ومن السجع
كان الشكل والهيئة . ربما كان ذلك .

٢ — التلطف في الكناية والاحتياال لحفاؤها ؛ حتى تجيء في بعض الاحيان
غاية من غايات الأبداع ودقة التعبير . والكناية على هذه الصورة تعد في نفسها
مطلباً عسيراً ، لا ينال إلا بالمرانة وطول المصابرة ، فكيف بها للجاهل تأخذ البداوة
من كل جانب ؛ وتوشك الجفوة من حوله أن تكون السمة الغالبة التي يتميز بها كل
شيء على الرغم من بيئته المملكية الخاصة ؟ لكنها العبقريّة تسمو بصاحبها على حكم
الالف والعادة ، فإذا هو شيء فريد في نوعه ، بل طريقة باكرة من طرف العجائب
تبدو قبل أوانها الموعود . ومن ذلك قوله :

يزل القلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثل
وقوله :

كأن الفتى لم يغن في الناس ساعة إذا اختلف اللحيان عند الجريض
وقوله :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هضرت بغصن ذي شماغ مبال
وصرنا إلى الحسن ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال

٣ — الغزل القصصي ، يصف فيه كيف دب إلى محبوبته والليل ساج والطبيعة
غافية ، وكيف استطاع في غفلة الحراس والرقباء أن يبلغ دارها ويقتحم مخدعها ،
ثم يروي الحوار الذي يدور بينهما وقد لجأها بهذه الزيارة غير مبال بخطر ولا مكثرت
لعار فضيحة ، فهي تتساءل تساؤل الخائر المنكر أو الخاذل المشفق ، وهو يجيب
أبداً جواب العايب المستهتر والمحاول المصير ، ثم لا يزال يحتال لها ويهون الأمر
عليها ، حتى تأنس به وتسلس له ويصير الأمر بينهما إلى ما يريد . وقد حاكاه عمر بن

أبى ربيعة في هذه الطريقة فأحسن المحاكاة ، وبلغ في الاقتنان فيها غاية ما يمكن أن يبلغ الفرع من أصله والتليذ من أستاذه ، وفي المعلقة وغيرها صور من هذا القصص ، نكتني بالإشارة إليها عن التمثيل لها .

٤ — هذه الأوليات التي بعدها القدمات له ، وينسبون فضلها إليه . ومنها فيما يقول صاحب طبقات الشعراء : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة الفسيب ، وقرب المأخذ ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض ، وتشبيه الخيل بالعقبات والعصى وقيد الأوابد (١) .

ولقد يخطر بالبال بادى الرأى أن استحسان هذه الأوليات إنما صدر في بدايته عن رأى عابر أو نظرة غير فاحصة ، ثم جرى الناس من بعد على روايته والموافقة عليه دون نقد ولا مراجعه ؛ إثباتا لحسن الظن ، أو التماسا للعافية ، أو نحو ذلك من الأسباب ، فإذا لها حرمة الرأى القديم ، يواتيه الخطر باتساع الشهرة واستبحار الرواية ، مع أنه في الواقع لا يثبت على النقد والتمحيص . نعم قد يخطر هذا وشبهه بالبال ، وقد يكون له حظ من الوجهة والقبول ، لولا أن الواقع يخالفه كما سيأتى ، ولولا أن الشعراء أنفسهم وهم أصحاب الرأى في الموضوع قد أكبروها منه ، وحاكوه فيها أو في بعضها لميده وفيما خلف من بعده إلى العصور الأخيرة . على أننا سنقتصر الحديث هنا على الأوائتين : الأولى ، والأخيرة من هذه الأوليات ، اتقاء الإطالة والتكرار .

فأما استيقاف الصحب والبكاء في ديار الأحبة فلا أدري كيف عدوها من أولياته مع أنه يعترف في قصيدة : لمن الديار غشيتها بسجام — بأن ابن حذام ، وهو شاعر طائى قديم — قد سبقه إليهما ، وأنه إنما يقلده فيهما ولا مزيد . قال :

عوجا على الظلل المحيل لاتنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام .

اللهم إلا أن يكون امرؤ القيس بما نوع فيهما وزاد عليهما قد استحق في رأيهم أن يختص بهما ، ويعد صاحب فكرتهما .

والذى لا ينبغي أن يكون فيه خلاف أيما يكن صاحبهما — أنهما تنطويان على لغة شعرية ، هبات أن يلتفت إليها إلا شاعر مطبوع ، ولو أنها أطول مالا كتبها الألسنة وكثرة ما لهجت بها الكتب تبدو شيئا غير ذى خطر ولا قيمة . فإما إلا أن مر بدوى مرتحل بدار محبوبة ، قوقف بين أطلالها ، واستوقف صحبه معه ، هو ييكى جزعا ، وهم سيكون إسعاده له ومشاركه . وهى بهذا القدر تنطوي على أصل من أصول الشاعرية فى أسمى مراتبها . وهو التعبير الصادق عن شعور صادق أشد ما يكون قوة وتوجها . فالشاعر قد قضى بعض الوقت فى جوار الحبيب ناعما مفتيطا لكن الأقدار كد أبها لم تلبث أن فرقت بينهما ؛ فبدل من القرب بعدا ، ومن الأنس وحشة ، ومن الغبطة هما . حتى إذا سكنت ثأثرته ، وعادت إليه نفسه أو كادت أتاحت له الأقدار فى بعض رحلاته أن يجتاز بدار الحبيب ، معبد غرامه ، ودنيا أحلامه . وهما هو ذا يدنو منها ، ويشخص ببصره إليها ؛ فيراها أطلالا ورسوما ، قد عاث فيها البلى ، ونالت منها الأحداث ؛ فإذا هى قفر خلاء ، لا يرى فيها غير وحش الصحراء ، يختلف إليها ، أو يقيم فيها آمنا مطمئنا . وهما هو ذا تهيج الذكرى ، وتلح عليه اللوعة ، ويدعوه الحنين والوفاء أن يلم بها شيئا قليلا ؛ ليقضى حقا لازما ، ويتمثل عدا خاليا ، لكنه يحس ضعفا عن التجلد واحتمال ما تكلفه هذه الإلمامة من آلام ؛ فيتوجه إلى صحبه : يسألهم أن يقفوا معه ، ويشركوه فى بكائه ؛ فيستجيبوا له كراما أو فناء . وهما أولاء يكفون عن البكاء قبله ؛ لأنهم لا يجدون مثل وجوده ، فتدركهم له رحمة وإشفاق ، فيقبلون عليه ينصحون له أن يرفق بنفسه ، ويردها إلى الهدوء والتجمل .

وهذا هو الإحساس الطبيعى الذى تحسه الفطرة المستقيمة حين تتعرض لمثل ما تعرض له امرؤ القيس ، حين هدى إلى هذه الأولوية . والتصوير الذى صورها به هو التصوير القويم ، الذى يعبر عنها فى أمانة وصدق .

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فومل
فتوضح فالمقراة لم يعرف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

ترى نمر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلهـل
 كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
 وقوقا بها صحبى على مطيهم يقولون لاتهلك أسى و تحمل
 وإن شفاى عبرة مبرقة فهل عند رسم دارس من معول

ومن الممكن أن تجيش النفس بهذا الإحساس في أحوال غير حال المرور بدار الحبيب ، لكنه حينئذ لا يبلغ من حدة الثورة وعنف المغالبة مثل الذى يبلغ في هذه الحال خاصة ؛ لأن الإحساس فيها يكون عن الملابس والعيان ، وليس كمثلها منه للذاكرة ، ومعين على التصور وابتعات الخيال

وأما قيد الأوابد فأولية غريبة حقاً ، لانظن أن مثلاً في تقدير الآراء المعجلة — يخطر بالبال في المقام الذى خطرت فيه ببال الشاعر ، فضلاً عن أن تصلح لتمثيل السرعة في بعض غاياتها ؛ لأن التفكير في السرعة حقيق أن يخطر في الذهن صور الحفة والانطلاق لاصور التقيد والاحتباس ، اللهم إلا كما يخطر كل معنى عارض بينه وبين المعنى الأصل مناقضة أو شيء من المخالفة والعناد . والألمعية وحدها هى التى تستطيع بأساليبها البارعة وقدرتها القاهرة أن تفيد من مثل هذا التخالف أياً ما يمكن نوعه ، حيث لا يظن أن فى الإمكان الإفادة منه ؛ فإذا هو على وفاق عجيب مع ما تكون فيه من شأن أو تقصد إليه من مراد . حتى لقد يبدو بعد ذلك أن ليس أصلح منه للمقام الذى حل فيه ولا للبنى الذى اختير له . وامرؤ القيس فى اصطناع القيد هاهنا لم يشأ أن يضيف إلى معناه شيئاً أو يولد منه شيئاً ، لكنه اتخذ منه على علته أداة تعبير عن معناه من تمثيل سرعة الجواد وقدرته على إدراك الأوابد . فهى فيما نظن أن الشاعر قد تصوره — لاتكاد تبين الحواد ، وتذكر أنه يقصدها حتى تنطلق عدوا على وجهها فى طلب النجاة ، ولكنها لاتلبث أن تسمع وقع سنايك رفيقا خفيا أول الأمر ، ثم عنيفاً بينا بعد ذلك ، ولاتلبث أيضاً أن تسمع على الاثر جيشان صدره وتردد أنفاسه ، فيركبها الفرع ، ويثقلها الاعياء ، ويتنازعها العثار والاضطراب ، فإذا هى مقيدة حبيسة ، لم يبق عنها أنها أوابد ، وأن الأرض أمامها

براح واسعة الفجاج ، وأن المدى بينها وبين الجواد كان بعيدا في مستهل السباق .
والآن ؛ هلم إلى جانب آخر من جوانب فن الشاعر وشخصيته ، فأظهر خصوصياته
الفنية وأدائها على شخصيته — يمكن أن نجعلها في كلمة واحدة ، وهي (الاشتراكية
الفكرية) ، ونعني بها تفكيراً امرئ القيس في قرائه ، وحرصه على أن يكون
مفهوماً لديهم ، ليشركوه في المشاهدة والتذوق والاحساس . وهو يتذرع إلى ذلك
بأربع وسائل : (١) التشبيه (٢) والقيود (٣) والاستطراد (٤) ونحرم الحياة
والوضوح في الألفاظ .

١ — أما التشبيه فقد أكثر منه ، ووفق فيه إلى غاية لا أعرف لها نظيراً في شعر
شاعر آخر . وأوضح ما يرى ذلك في المعلقة ، فقد أورد فيها أكثر من خمسين تشبيهاً
كلها بحكم سديد وربما اشتمل البيت الواحد على أكثر من تشبيه واحد ، كقوله :
وكشع لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل .
وقوله :

له أبطلاطي ، وساقا نعامة وإرخاء سرحان ، وتقريب تمقل
وربما شبه الشيء الواحد بشيئين اثنين ؛ كقوله :
كأن على المتئين منه إذا اتحنى مذاك عروس ، أو صلاية حنظل
وقوله :

وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي ، أو مساويك إسحل
وتدل تشبيهاته على سعة الأفق ، ووفرة المادة ، وقوة الملاحظة ، والاحاطة
بطبائع الأشياء وكثير من خصائصها ؛ لأنه يجلبها من كل مكان عرفه ، ويصطنعها
من كل شيء . رآه في الطبيعة أو في بيئته العامة والخاصة . أنظر إلى قوله :
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوله :

فظل العذارى برئين يلحمها وشحم كهداب الدمقس المقتل
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

مفهقة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
 وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمطل
 فبالك من ليل كأن نجومه بأمراس كنان إلى صم جندل
 كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل
 فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشرة غول
 ولا أعرف له في هذه الخاصة شبيها من شعراء الجاهلية ، فهذا زهير مثلا على
 ما عرف به من التروى في نظم الشعر ، وطول الوقوف عنده ، والمراجعة له —
 لا تكاد تخرج تشبيهاته في المعلقة عن الإبل وأحوالها من اللقاح والنتاج ، والصدر
 والورد ، والرعى والظم ، وما إلى ذلك من أحوال .

٢ — والقيود كالنشبية قصدا وغاية ، وإن اختلفا مكانة وعملا . هو للايضاح
 أو التقريب أو إثارة الحس . وهي لوضع الحدود ، وتقديرا الأبعاد ، وبيان النسب
 والأحوال ؛ وتعبير الأمكنة والاوقات ، والتفريق بين الصفات والاشكال . فهي
 أكثر تشعبا . وأدق مسلكا . وأشد تنوعا للمعاني . وهذا مثال من تابعها في قصيدة
 ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي :

إذا ما الضجيع ابتراها من ثيابها	تميل عليه هونة غير بجبال (١)
كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه	بما احتسبا من لين مس وتسبال (٢)
لطيفة طلى الكشح . غير مفاضة	إذا انفتلت مرتجة غير متفال (٣)
تنورتها من أذرعها وأهلها	يثرّب أدنى دارها نظر عال
نظرت إليها والنجوم كأنها	مصاييح رهبان تشب لقال
سموت إليها بعد ما نام أهلها	سمو حجاب الماء حالا على حال

فأنت اذ تقرأ هذه الايات وأشباهاها — لا تكاد وتحس حاجة الى السؤال عن

(١) هونة : لينة بجبال : غليظة الخلق جافة

(٢) الحقف : المستدير من الرمل . النقا : الكتيب

(٣) متفال : كريمة الرائحة

سبب شيء أو مكانه . أو الزمن الذي وقع فيه . أو الطريقة التي وقع بها . أو نحو ذلك . لان الشاعر يفكر فيك . ويعنى بك . فهو لذلك يجنبك الحيرة . ويكفيك منونة السؤال .

٣ - والاستطراد تدفعه اليه الرغبة الملحة في تبين دقائق الاشياء . وتببع خصائصها . ومنه قوله يصف نألق الحلى على لجة محبوبته :

كأن على لباتها بحر مصطل أصاب غضى جزلا وكف بأجزال
وهبت له ريح بمختلف الصوى صبا وشمال في منازل قتال
ولقد تبلغ به الرغبة في التبيين ، فيمضى فيما استطراد إليه : يفصل أحواله ، وبطيل الحديث عنه ، كأنه موضوع قائم بنفسه كقوله يصف فرسه :

فعادى عداء بين ثور ونعجة وكان عداء الوحش منى على بال (١)
كأنى بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان أطا طأت شمال (٢)
تحطف خزان الشربة بالضا وقد حجرت منه ثعالب أورال (٣)
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
ويظهر أن هذا المذهب قد وقع من شعراء الجاهلية موقع الاستحسان ، فحاكوه فيه كما حاكوه في كثير غيره . ففي معلقة عنتره يصف ثغر حبيبته ، ومعلقة ليديصف ناقته ، ومعلقة عمرو بن كلثوم يفخر بعزة قومه وامتتاع قناتهم على الاعداء ، ومعلقة الحارث بن حلزة يصف ثبات قومه للأحداث وقلة اكترائهم لها . وفي غير ذلك من المعلقات والقصائد أمثلة للاستطراد على هذا النحو .

ولا يبعد أن يكون من أسباب الاستطراد وكثرته على ما وصفنا غلبة البداوة على العرب واقتراهم من الفطرة في مذاهب التفكير . والعلم ولا ريب يهدب الفكر . ويحدد أهدافه ، ويوضح له المسالك التي تنفذ به إلى كل هدف ، ولا كذلك البداوة

(١) عادى : والى . فتخاء الجناحين : طويلاً في ابن . لقوة : سريعة الحظف . طأطأ به بالعتاب : أرسلها به للركض . شمال : سريعة .

(٢) الخزان : جمع خزانة كصرد ، وهو ذكر الارانب .

(٣) الشربة وأورال موضحان

وإن فيما نرى من المتعلمين وغيرهم من الاطفال ومن لاحظ له من العلم لشاهدا عدلا فأولئك يعبرون عن معانيهم قصدا ، لا يكادون يميلون هذا أو هناك إلا بمقدار . وهؤلاء يكثر في كلامهم التشعب والشرود . وربما ذهب بهم اللف والدوران إلى أبعد المذاهب وأومها صلة بما يتخون .

(٤) ولقد وفق الشاعر في انتخاب ألفاظه كل التوفيق ، بالرغم من طبيعة البيئة وأحوال العصر يومئذ ، فنحن إذ نقرأ شعره ، وتعقب مفرداته بالتمحيص والتفقد نجد جمهرتها الغالبة بل كثرتها البالغة حية سائغة ، كتب لها الخلود والتداول جيلا بعد جيل . بل نجد كثيرا منها يمتاز بحظ عظيم من العذوبة وصفاء الرونق ولطف الابقاع ، ولا تكاد تعثر بينها على ألفاظ جافية أو غليظة متوعدة إلا قليلا ، وعلى مسافات غير متقاربة ، تتلاحق بينها أنماط من المفردات الفخمة ، أو الكريمة المعركة ، أو الحلوة الفاخرة . فإن من يستطيع أن يسمو بالكثير من خواطره ومعانيه على اعتبارات الزمان والمكان — لا يتعاضده بلاخلاف أن يبلغ مثل ذلك بالفاظه أيضا . وإنما تبدو هذه الخاصة على أشدها من التمكن والوضوح في شعره قبل مقتل أبيه ، أما بعد ذلك فتشيع في مفرداته السهولة واللين . ومن شعره في الطور الأول :

وبيت عذارى يرم دجن ولجنه	يظفن بحباء للمرافق مكسال ^(١)
سباط البنان والعرايين والقنا	لطاق الخصور في تمام ولا كال
نواعم يتبعن الهوى سبل الردى	يقان لاهل الحلم ضل بتضلال
كأنى لم أركب جواداً للذة	ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل	لخلى كرى كرة بعد إجحال ^(٢)

ومن شعره في الطور الأخير :

قفا نيك من ذكرى حبيب وعرفان	ورمم عفت آياته منذ أزمان
أنت حجج بعدى عليها فأصبحت	كنخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحى الجميع فبيعت	عقاييل سقم من ضمير وأشجان

(١) الجباء : الغائبة عظم المرافق لكثرة لجها :

(٢) أسبأ الحمر : اختارها .

فسحت دموعي في الرداء كأنها كلى من شعيب ذات سح وتهتان (١)
 إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
 هذه ملاح شخصيته الفنية ، أما شخصيته الذاتية فكانت قبل محنته في أيه شخصية
 الخلى العايت . بل الخليج السادر ، طوعت له سعة المال وأجاه السلطان كل ما تطيق
 الحياة الماجنة لعده من بهجة ومتاع : نساء ونمر ، وغناء وقصف ، وحب وصيد .
 ثم أغراه بها صبوة السباب ، وغواية الأصحاب من الشذاذ والصعاليك ؛ ففتن بها ،
 وتهالك عليها ، لا يكاد يقف فيها عند حد ، ولا يصبر منها على لون ، ولا يبالي في
 الاستمتاع بها حرمة ولا إثم . وكانت النساء أحب المتع إليه ، وأشدّها فتنة له ، على
 ما كان يلقي في سيلهن من عنت ، وما كان يتعرض له من خطر . نهاء أبوه عنهن فلم
 يستمع له ، فنفاه وتبرأ منه . ثم كان في ديبه إلبين عرضة لفتك البعولة ومصاولة
 الحراس . فهل تراه مع هذا كله قد أعرض عنهن ؟ أو قلل من التولع بهن ؟ هيأت .
 فأصبحت معشوقا ، وأصبح بعلمها عليه القتام سييء الظن والبال
 يفظ غطيظ البكر شد خناقه ليقتلني ، والمرء ليس بقتال
 أيقتلني والمشر في مضاجعي ومستونة زرق كأنياب أغوال
 ويضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من هو بها غير معجل
 تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا على حراسا لو يسرون مقتلى
 وكان في النزوع إلبين نهما ملتهب الحس ، لا تقنعه المتعة على طويقة واحدة ،
 ولا يفتني فيها بحاسة عن حاسة ، بل يلتمسها من كل سبيل ، وينقلها إلى نفسه من كل
 سبيل كذلك : من السمع والبصر ، ومن الشم والذوق ، ومن الذكر والخيال . لا تنفي
 واحدة عن أختها ، ولا يقوم بعضها مقام كلها . فلكل أسلوب خاص في الأداء ، ولون
 معين من اللذة ، ولا بد له من كل أسلوب ومن كل لون . وهو لهذا يصف محاسنهن
 في استقصاء وتفصيل ، يتدر أن يجاريه فيها شاعر آخر . وربما تورط من جراء ذلك
 في التكرار والمداخلة . قال :

هصرت بفودي رأسها قبايلت على ، هضم الكشح ربا الخلل

مهفة بيضاء غير مفاضة تراثها مصقولة كالجنجل
وقال :

وكشع لطيف كالجديل مخضر وساق كأنيوب السق المذل
وهو يروى أحاديثه اليهن ، وأحاديثهن اليه في دقة وضبط ، يبدو أن من هذا
التساوق المطرد في الحوار على مدار الأخذ والرد ، ثم من هذا التطابق بين المقام
وما يجري فيه من حديث :

فقلت : سباك الله إنك فاضحي ألت ترى السمار والناس أحوالى
فقلت : يمين الله أبرح قاعدا ولوقطعوا رأى لديك وأوصالى
حلفت لها بالله حلقة فاجر لتأموا ، فإن من حديث ولاصالى
ولا يفسى أن يذكر طيب رياهن ، وأن يقرن بها ماعسى أن يحانسها
من الطيوب الأخر :

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرفل
وله قصيدة يذكر فيها أنه ودع الصبا ، ونزع عن باطله إلا أربع خلال ، لا يزال
بها مولعا ، وعليها حر بضا ، فجعل منها تشمم القساء حين تفوح رياهن :
ومنهن سوف الخود قد بلها الندى تراقب منظوم القائم مرضعا (١)
ويصف الريق فيفتن في وصفه ويمثل طعمه ونشره والاحساس به تمثيل
المتذوق المنبوم :

كأن المدام وصوب الفمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل بها برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر
وربما شبه المرأة بالشجرة المثمرة ، وشبه المتع التي يتألفها منها بالجنى الذي يتألف
المحتنى من الشجرة :

فقلت لها : سسيري وأرخي زمامه ولا تبعدينى من جثاك الماعل
وهو يذكر أحوالهن معه ، وأحواله معهن فى صراحة وتفصيل ، غير مفرق بين
ما يحب كتمانها وما يصح الجهر به . تنوعا للبتة . وتعديدا لطرائقها : يريد أن يصيبها
من التصور والحكاية . مثل ما أصابها من سواهما . وهن على باله أبدا . حتى فى
المواطن التى تقرب فيها النفس من مواقف التماسك والجد . ويقل فيها التفكير فى
المجون والمغازلة .

فغن لنا سرب كأن نعاجه عذارى داور فى ملاء مذيل
بل إن الأحداث التى تابعت عليه بعدمقتل أبيه لم تنسه ذكرهن ولا التشيبين :
ولم ينسى ما قد اقيمت ظمائنا وخلاها كالقمر يوما محذرا
صحيح أن غزل الجاهلين يوشك أن يكون مادياً كله ، يقوم على حكاية الحال
الجارية ، ووصف المحاسن المراتية . ويقل فيه تصوير العواطف ، والافتتان فى شكوى
الصباية والغرام ولكن يظل امرؤ القيس مع ذلك متفردا فى غزله بهذه الرغبة الغالية .
بل العرام الجامح . تكاد تراه فى كل بيت . بل فى كل خطرة من بيت .
أما شخصيته بعد مقتل أبيه فشخصية السيد الماجد . ترزؤه الأيام بالخطب الجسيم ،
وتتابع الأحداث من حوله بما لا يواتيه فى عناد وإصرار ؛ فينطرق إلى قلبه الحزن والألم ،
وقد يتحرك لسانه بالتأمل والشكوى ، ولكنه أبدا معتز كريم ، لا يتخضع ولا يستسلم
بل لا يكاد يفتر عن الدأب والمحاولة . ولا يقنع بما دون الغاية من أمره . فان يظفر بها
كاملة ، وإلا فحسبه أنه أبلى عذرا :

إذا قلت : هذا صاحب قدر صيته وقرت به العينان بدلت آخرها
كذلك جدى : لأصاحب صاحباً من الناس ، إلا خائى وتغيرا
وقال . فإما ترى لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنعسا
فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فتمندرا

وربما نزل به الخطب في محنته هذه ، فزينه إلى مابه منها وإذنه لكثير ، فيلقاه هازئاً متهاكاً ، يفتقر نفرة عن ابتسامة حزينة ورة . ولكونها راضية مطمئنة . روى أن نفرأ من بني نهبان خرجوا على رواحل له ، يطلبون إله التي أغير عليها وأخذت حين كان في جوار المعلى بن تيم : فغلب أوائلك الثمر على الرواحل أيضا وعادوا إلى الشاعر الحزين بلا شيء . فأعاضه الناس منها أعزاً . جمعوها له : ليحلبها . ويعيش من ابنها ، فقال في ذلك :

إذا ما لم تجد إبلا شعزى كأن قرون جلثها العصي

إذا ما قام حالها أرنت كأن القوم صبحهم نعي

فتملاً بيتنا أظنا وسمنا وحبيك من غنى شيع وري^(١)

والذين عابوا امرأ القيس في هذه الآيات من قدامى التقاد -- إنما عابوه فيما يظهر لأنهم قرونوا بيتيه المشهورين : ولو أن ما أسعى لأدق معيشة فأرأوه هنا بعيد الهمة ، عظيم الخطر ، ورأوه هناك كما وصفوه . أعرايا في شملته ، لاتجاوز همته ماحوت خيمته . ولو أنهم قرونوا هذه الآيات بالحوادث التي تقدمتها ، والمناسبة التي قلت فيها لتمثل لهم امرؤ القيس كما تمثل لنا : هازئاً متهاكاً ، لاقانطاً مستسلماً . ولاقانطاً قعددا^(٢) .

ويرى بعض الباحثين من المعاصرين أن امرأ القيس فيما يظهر من حاله كان وثنياً ، لا يخلص لوثنيته ، ولا يحترمها حق الاحترام^(٣) . ويستدلون لذلك بأنه وهو منصرف من اليمن صادراً عن قرمل بن الحميم مرتبالة^(٤) . وكان بها صنم تعظمه العرب . يقال له : ذو الخلصة ، فاستقسم عنده ثلاثاً . وكان كلما أجال القداح خرج النساى ، فلما كانت الثالثة جمع القداح فكسرها ، وضرب بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوك قتل ما عفتنى^(٥) .

(١) الاغانى : ٨ : ٦٨ .

(٢) المفصل : ٦ : ٥٢ .

(٣) الموشح الرزباني : ٣٧ .

(٤) بلدة خصية باليمن ، يقال ان الحجاج ولى عليها فآها فاستحرقها فريدخلها فقيل : أهون

من تبالة على الحجاج .

(٥) الاغانى : ٨ : ٦٨ .

وعندى أن هذا الحادث وحده لا يكفي دليلاً لما استدلوأ به عليه ؛ فقد كان الرجل يومئذ حزينا موتورا . وحانقا معبظا . قتل أبوه عن الصررة المثيرة التي يصفها الرواة . وسعى اليه الساعون من أهل الرأي والبقيا عن السلام . يتفنون عنده الصلح في خلال عرضوها عليه . فأبى إلا الحرب والانتقام ؛ ثقة بقومه ، وإدلالا بما عنده من سلاح وكراع ، وذهابا بنفسه وأبيه عن معرفة القدية واليوأ بأى قتل . فلما جد الحد تحادل الناس عنه ، وخلوا بينه وبين واتريه قبل أن يبلغ من الثار ما يريد . فاذا جرت الازام مع ذلك بما يثبط العزيمة ، ويحرض على التراجع والاعراض كانت الحيلة مرة ، وكان وقعها على النفس ولا سيما الشاعرة - عنيفا مثيرا ، لا يبعد أن يخرج بالانسان عن مالوف طبعه وعاداته في القول والعمل . وامرؤ القيس بما فعل في هذا الموقف ، وبين هذه العوامل لم يكن بدعا في كثير من الناس . وليس الذى فعل بدال على شىء دلالة على الهياج وضيق الحيلة .

وبعد ، فقد رزق امرؤ القيس في تاريخ الادب من بعد الصيت ، وتجدد الذكر . وحفاوة الادباء - ما يكافئ عبقريته . ووفق مع سمو منزلته . فما نعرف كتابا في الادب العام ، أو فى أى فن من فنونه إلا ذكره أو وقف عنده قصدا أو عرضا . ذلك إلى الكنب المؤلفة فى أصناف العلوم الاخرى على النمط المأثور من إيراد الشواهد والنصوص للاحتجاج والتأييد . ولم يكن قدامى المؤلفين فى الادب أو فريق منهم على الاصح حياله رواة جامعين تحسب ، ولكنهم كانوا نقدة دارسين أيضا ، يتناولون بعض أنبائه وأشعاره بالفحص والموازنة ، فما صح لديهم قبلوه . وما لم يصح نبهوا اليه . ففى شرح المعلقة السبع للوزنى ، وشرح المعلقة العشر للتبريزى أن أربعة الايات التى أولها :

وقربة أقوام جعلت عصاميا عنى كاهل منى ذلون مرحل

ليست فى رأى أكثر الرواة من معلقة امرؤ القيس ، ولكنها منقولة اليها ومقحمة فيها من شعر تأبط شراً . ويقول صاحب الاغانى عن قصيدة : طرقتك منذ بعد طول تجنب وهى مما ينسب الى امرؤ القيس من شعر .

واضها منحولة : لانها لا تشاكل كلام امرى القيس (١) . ويقول أيضا عن قصة
 احيار هند بنت حذاف الى عوير بن شحنة بمد مقتل أيتها : وقال ابن قتيبة في خبره إن
 القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجاريه برمر (٢) . وروى المرباني
 في الموشع عن الرياشي قال : يقال إن كثيرا من شعر امرى القيس ليس له . وإنما
 هو لفتيان كانوا يكتنون معه . مثل عمرو بن قتيبة وغيره (٣) . ويقول المعري في رسالة
 الغفران عن لسان ابن القارح في حديثه مع امرى القيس : يا أبا هند . أجبرني عن
 التسميط المنسوب اليك : أصبح هو عنك ؟ وينشد الذي يرويه بعض الناس :

يا قوم إن الهوى إذا أصاب القفى
 في القلب ثم ارتقى فهد بعض القوى

فقد هوى الرجل

فيقول : والله ما سمعت هذا قط . وإنه لقرى لم أسلكه . وإن الكذب لكثير .
 وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام . ولقد ظننى وأساء إلى (٤) .
 ولو علم هؤلاء السادة المحققون أن وجود امرى القيس كان مثار خلاف أو شك
 اتحدوا عنه ، أو أشاروا إليه . ولكنهم فيما نعلم لم يفعلوا من ذلك شيئا لاتصريحا
 ولا تلويحا . وما تقصد بهذا أن القدماء قد وفوا امرأ القيس حقه بحنا وقدا ، فلم
 يبق للناس من بعدهم إلا أن يروا فيه رأيهم . لا خلاف ولا تعقيب . وإنما تقصد أن
 الشك في وجوده . ثم رفض المروى من أنبائه وأشعاره الا شيئا يسيرا من أفكاره
 ومعانيه (٥) ، على ماله من خطر الشأن ، واتساع الشهرة في التاريخ جيلا بعد جيل —
 نقصد أن كلا هذين ليس من القضايا الهيئة التي يسهل الفصل فيها على هذا النحو من
 الاطلاق الذي لا تحفظ معه ولا قيد . أما الشك في بعض أنبائه أو بعض القصائد
 المنسوبة إليه . فأمر يسير على كل حال . مهما يكن الطريق إليه والرأى فيه .

(١) المصدر نفسه : ٧٠

(٢) المصدر نفسه : ٦٦

(٣) الموشع للمرباني : ٣٤

(٤) رسالة الغفران : ١٨٠

(٥) جامع كتاب في الادب الجاهلي

صحيح أن الرواة يختلفون قليلاً أو كثيراً في نسبه . وفي رواية شعره ، وبعض تفاصيل حياته . ولكن ماذا في هذا ؟ أليس هو الخلاف السائغ المؤلف ، الذي يتفق مع منطق الأشياء وأحوال البيئة ؟ بل أليس هو الخلاف الذي لا يدعوانا الريبه والحذر في البحث عن الحقيقة كما يدعوا إليها الاتفاق في بعض الاحيان . ان عصر الشاعر كما لا يخفى - كان بعيداً من عصر التدوين ، وأن الناس كانوا طوال هذه الحقبة ولا معول لهم في المعرفة ونشر الآثار الادبية غير التحمل والرواية . ولا يغرب عن البال مبلغ ما تعرض له الحقيقة حينئذ من ضروب العال وإلغيات . ولكن هذا وحده لا ينبغي أن يكون مدعاة لشك أو إنكار . فهذه أحاديث الرسول عليه السلام يختلف المحدثون في روايتها . وقد يشتد الخلاف بينهم فيها بعض الاحيان ، مع أنهم كانوا في العناية بها والحرص على ضبط نصوصها بالموضع الذي لامطع بعده في زيادة لمستزيد . وقد اتفق الناس على العمل بها ، واستنباط الأحكام منها في أمور الدين والدنيا جميعاً .

ثم إنه لا تنكاد قلم شخص من شخصيات التاريخ القديم والحديث من خلاف في شأن من شئونها العامة أو الخاصة ، مهما تبلغ من الشهرة ، ومهما يبلغ أمرها من الضبط والوضوح . وسيظل هذا دأب الناس أبداً ، رضوا أم لم يرضوا ؛ لأسباب وملاسات ليست منا الآن بسبب ، ولا هي مما يتسع له المقام هاهنا . وقصة خروج الفرزدق في يوم مطير الى ضاحية البصرة ، وحديثه الى النساء اللاتي كن في القدير اذ ذاك إن دلت على شيء . فعلى أن الشاعر كان يعلم قصة يوم دارة جلجل ، وأنه رأى حاله مع النساء في يومه هذا تشبه حال امرىء القيس مع العذارى في يومه ذاك . أما أنها تدل على أن الفرزدق هو صاحب غزل يوم دارة جلجل المنسوب الى امرىء القيس في معلقته فلست أراه رأياً ، ولا أعرف له وجهاً . فأين الاستشهاد بشيء والحديث عنه من مقارنة فعله ؟ ان هذا شيء وذاك شيء آخر ، والفرق بينهما كبير . ولو صرح أن يكونا شيئاً واحداً ، أو شئين متلازمين للزم أن يكون كل من تحدث عن عمل من أعمال امرىء القيس أورد شيئاً من شعره يكون هو صاحب هذا العمل أو ناظم هذا

الشعر . على أنه كيف تصح نسبة هذا الفحش الى الفرزدق وقد كان شاعراً اسلامياً والدولة القائمة عربية محاطة على خصائص العرب ، ولا تصح نسبته الى امرئ القيس وقد كان شاباً جاهلياً ورعاً . لفظاً أبوه وأقصاه عنه ، لم رأى من تهالكه على النساء والنصرانه عن معالى الملك الى المجاعة واللهو ؟ ومع ذلك لانرى مشابهة هناك بين شعري الشعارين في الطريقة والاسلوب

أما القصص الغزلى الذى فى شعر امرئ القيس فشيء ولا شك بقصص عربى أبى ربيعة فى شعره ، ولكنه ليس به ولا من صنع صاحبه ، وإنما كان خطوة سابقة فى هذا المذهب ، خطأها امرؤ القيس . وأعجبت عمر : فقصدها ، وأضاف إليها خطوات وخطوات . كما ذكرنا فى صدر هذا المقال . فلكل من الشعارين أسلوب متميز يدل عليه ، وأسماء خاصة يذكرها فى تشبيهة ، وبحور معينة يؤثر موسيقاها ، ويستكثر من النظم على أوزانها . والشعر الذى ينسبه الثقات الى امرئ القيس يفسر حياته ، ويلائمها ملائمة ملحوظة ^(١) ، ويجرى فى جمته على أنماط متشابهة من طرائق التكثير ومآخذ الخيال ومذاهب الإبانة والتعبير .

وشىء آخر يدل على وجود الشاعر ، وتسلسل أنباته وأشعاره الى عصر التدوين والتصنيف : أنه قد جرى ذكره فى بعض أحاديث الرسول وفتاوى الإمام على فى الشعر فقد خرج أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار ^(٢) . ومثل على رضى الله عنه : من أشعر الشعراء ؟ فقال : ان القوم لم يحروا فى حلبة تعرف الغاية عند قصبتها ، فان كان ولا بد فالملك الضليل ^(٣) .

(١) انظر الادب العربى وتاريخه فى المعمر الجاهلى

(٢) مختصر شرح الشواهد للبيق : ٨

(٣) بحيرة الامام : ١٧٣

وهيات أن يحكم الرسول هذا الحكم ، وأن يجيب على هذا الجواب عن شخص ليس له وجود سابق وليست له أنباء معروفة ، ولا أشعار مروية . وإلا فكيف يسيطر شخص من عالم الوهم والخرافة على أشخاص من عالم الواقع والحقيقة ، فيقودهم إلى التار على ما جاء في حديث الرسول ، ويكون له السبق فيهم حين المفاضلة والتمييز على ما جاء في فتوى الإمام ؟ ثم كيف يفهم السامعون أسرار حكم الرسول عليه ، وأسرار حكم الإمام له إذا كانوا لا يعرفون عنه أنباء ولا يروون له أشعاراً ؟ إذا لقد وصلت أشعار امرئ القيس وأنباء حياته إلى مبعث النبي ﷺ ، ثم إلى السن التي بلغ فيها على رضى الله عنه مبلغ الغيا في الشعر والمفاضلة بين الشعراء لم تذهب بها الأحداث ، أو يطغ عليها الفسيان أو ينقطع بها التسلسل حتى حين هذا الشعر وفترت حركته ، بسبب انصراف الأذهان إلى الدين الجديد ، واشتغال الناس بنشر مبادئه ، وتأسيس دولته . فقد روى صاحب العقد الفريد (١) أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا خلوا في مجالسهم يتناشدون الشعر ، ويتحدثون بالخبر الجاهلية . فأولى إذا أن تصل هذه الأنايا والأشعار بعد عصر الخلفاء الراشدين وعودة الشعر إلى يقظته ونشاطه إلى عصر التدوين والتصنيف

ومن الخير أن نختم هذا البحث بملاحظة قيمة للكاتب الأديب الأستاذ محمد هاشم عطية . قال : ولئن جاز في عقل أحد أن يشك في شيء من هذه الأشعار الجاهلية ليكون امرؤ القيس آخر من يتطرق الشك اليهم أو تصل التهمة بحياتهم . ولقد روى شعره ثمانية من ثقات الرواة ، ودونوه وتناولوه بالاتقاد والشرح ، منهم أبو عمرو ابن العلاء أحد القراء السبعة ، وأبو سعيد بن قريب الأصمعي . والإمام ابن السكيت وغيرهم (٢) ..

على النجدي / ناصف
مدرس بدار العلوم

(١) العقد الفريد : ٣ : ٤٧

(٢) الادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي : ١٦٠

نفي النفي تأكيد للنفي

• للدكتور ابراهيم انيس

نعم : لغويا نفي النفي تأكيد للنفي ، وليس كما شاع بين القدماء من النحاة أن نفي النفي إثبات .

أما من الناحية المنطقية والرياضية فالقضية الشائعة سليمة لا غبار عليها وليس لنا أن نعتصر على قول الرياضيين حين يرمزون إلى هذه القضية برموز فيقولون مثلا — (٣ — ٣) = ٠ . وكذلك في القضايا المنطقية ، نستطيع بسهولة تصور صحة تلك القضية الشائعة التي طالما سمعناها من أفواه أساتذتنا يرددونها فيقولون « نفي النفي إثبات » ١

ولكن اللغات منطقها الخاص والأساليب طرقها الخاصة التي يجب عرضها وتفسيرها لآل ضوء المنطق العام أو الرياضة بل في ضوء المنطق اللغوي والاستعمال اللغوي ، وفي ضوء العوامل النفسية التي قد يتأثر بها المتكلم والسامع حين التعبير عما يدور بخلد كل منهما بأسلوب لغوي خاص .

واللغات ليست إلا أحد المظاهر الاجتماعية . ولهذا تخضع في تطورها إلى تلك القوانين الاجتماعية التي لا تطابق دائما القوانين العقلية من منطقية أو رياضية . فقد تؤدي المقدمات المنطقية إلى نتيجة حتمية ولكن اللغات وقد تشعبت عواملاها وظروفها وصعبت الاحاطة بجميع تلك العوامل والظروف تسلك طريقا غير طريق المنطق العقلي ولا يلازمها الاطراد في كل عناصرها بل لابد فيها مما يسمونه بالشنوذ ومخالفة القاعدة العامة وليس مثل هذا يحاظر في علم المنطق أو الرياضة .

تلك هي الناحية التي أخطأها البصريون حين أرادوا أن يصوروا لنا الأساليب

اللغوية مطردة في كل تفاصيلها وأجزاءها هذا إلى التأويل والتخريج لكل ما روى مخالفا لأقيستهم .

فالمظاهر الاجتماعية لا تخضع للقوانين العقلية المنطقية أو الرياضية في كل تفاصيلها واللغات ليست إلا أحد تلك المظاهر الاجتماعية والنفي في اللغات رغم أنه معنى عقلى مشترك بين جميع العقول عبرت عنه اللغات بسبل وأساليب لا تطابق الأساليب المنطقية أو الرياضية .

فقد يريد المتكلم أن ينفي جملة من الجمل أو معنى من المعاني وقد تدفعه حاله النفسية أو ظروف الكلام إلى تأكيد هذا النفي فيكرر أداة النفي مثنى وثلاث ورباع وقد شاهدت هذه الظاهرة اللغوية ، في كل لغات العالم . ولست أعرف لغة من اللغات تعبر عن نفي النفي الذي ينتج الاثبات بأى أسلوب من الأساليب اللهم إلا أن نلجأ للتعسف والتكلف . بل إن أساليب الاثبات في كل لغة واضحة جلية ووسائل تأكيد الاثبات واضحة جلية أيضا أما تأكيد النفي فيغلب أن يكون بتكرار أداة النفي في موضع ما من الجملة يختلف بين لغة وأخرى .

والنفي وهو معنى عقلى تعبر عنه كل لغات البشر بعد من أقدم الظواهر اللغوية بل ربما كان أقدمها . فالطفل الذي عرف البكاء قبل الضحك وعبر عن الثبور قبل التعبير عن الرضا يلقي لنا ضوءا على نشوء النفي في لغات البشر . وإن اشتراك أداة النفي بين معظم اللغات لما يؤيد ما نذهب إليه من أن النفي من أقدم الأساليب اللغوية فالأساس الصوفي لأداة النفي في معظم فروع الفصيلة الهندية — الأوربية . هو صوت النون وفي الفصيلة السامية هو صوت اللام . وقد جمعت العربية بين الـنـمـاسـين فأحيانا يكون فيها أساس أداة النفي واللام ، وأحيانا يكون والنون ، ثم ريد عليهما صوت ثالث شبيه بالنون واللام وهو الميم . ولم تنفرد العربية بهذا الصوت الأخير بل شاركها فيه لغات بشرية أخرى .

فتحن نرى أن الأساس الصوتي لأداة النفي هو أحد الأصوات الثلاثة اللام والنون والميم ويندر أن تشذ لغة من لغات العالم عن هذا ويجب ألا تنس علاقة طليعية بين هذه الأصوات الثلاثة . وبين النفي الذي

هو معنى عقلي كما يفعل اللغويون في تفسير الكلمات التي تظهر علاقة صوتها بمعانيها كالحفيف والرفير وغير ذلك من تلك الكلمة التي يسميها الغريون Onomatopoeia بل يكفي إذا كان لابد من تفسير ظاهرة التعبير عن النفي بأحد تلك الأصوات أن نقول إن النفي من أقدم الأساليب اللغوية وتلك الأصوات أقدم الأصوات الساكنة في لغة الإنسان الأول . وليس لدينا من دليل على ما نزعهم سوى الطفل في مراحله الأولى قبل أن تنمو فيه ملكة التقليد للغة من حوله بل تصدر الأصوات منه في شكل غريزي ليس للبيئة أثر فيها .

فالطفل في مراحله الأولى تظهر عليه مظاهر النفور قبل الرضا كما تكون اللام والنون والميم مجموعة من الأصوات الساكنة هي أسبق أخواتها في النطق بها . فلعل الإنسان الأول استغل تلك الأصوات الثلاثة التي كانت أسبق الأصوات الساكنة في نطقه لعله استغلها في التعبير عن ذلك المعنى العقلي أعنى النفي الذي هو قديم كقدم الإنسان كما استغلها في ظواهر لغوية أخرى بطبيعة الحال .

وليس بغنى عنا شيئاً أن نتلص دليلاً من لغات الأمم الأولى بصدد هذه الظاهرة فالأمم مهما توغلت في البداوة لا تمثل أمها إلا مرحلة متأخرة جداً من مراحل نشأة الكلام .

فالعلاقة التي يمكن أن نتلصها بين اللام والنون والميم وبين النفي يجب ألا تعدو القول إن كلا منهما قديم متوغل في القدم .

وإذا صح أن الطفل يمثل في أسابعه الأولى مرحلة من مراحل نمو اللغة عند الإنسان الأول — وهو ما يناهض به كثير من المحرضين — كان تصورنا لنشوء النفي واشتراك أدياته بين معظم لغات العالم مبنيًا على أساس علمي صحيح .

وللبرهنة على ما نحن بصدد من أن نفي النفي احويا تأكيد للنفي ، علينا أولاً أن نضرب أمثلة قديمة وحديثة من لغات متباينة أوربية ، وغير أوربية ، توضح ما نذهب إليه من أن المرء إذا شاء تأكيد نفيه كرر الأداة . ففي الإنجليزية القديمة :

ومعنى هذه الجملة بالانجليزية الحديثة مترجمة ترجمة حرفية هو :

No man not knew nothing.

وفي الانجليزية القرون الوسطى نرى بين أقوال تشوسر :

He nevere yet no vileyne ne seyde in al his tyf unto no maner wight.

ومعنى قول تشوسر مترجما ترجمة حرفية إلى الانجليزية الحديثة هو :

He never yet no bad thing no said in all his life to no man whatsoever.

ومن الانجليزية الحديثة يقول Hardy في إحدى رواياته مستعملاً أحد الأساليب

الشائعة بين العامة :

I Can't do nothing without my staff

بل إن أولئك الذين عاشوا في انجلترا بعض الزمن قد سمعوا هذا النوع الشائع من الاستعمال الذى يحارب في المدارس دون جدوى لأنه مع شيوعه متاصل في تاريخ اللغة الانجليزية . فالعامه يكررون أداة التثنية لمجرد تأكيد التثنية . فكثيرا ما سمعنا الانجليز يقولون :

I haven't done nothing

وكذلك نلاحظ هذه الظاهرة في اللغة الفرنسية مثل :

On ne le vot it nulle Part .

كما تصادفها في الاسبانية والالمانية ، بل وفي العنصر السلافي أيضا كالروسية . وكذلك في الاغريقية قديما وحديثها . فاذا انتقل الباحث إلى بيئة لغوية ، غير الفصية الهندية — الأوربية رآها أيضا في اللغات الأولية في وسط جنوب أفريقيا كالباتو أو بعبارة أدق إحدى لغات الباتو ، الكنفو ، مثل :

كفنجيدى كوندى ووليكو كوناجا كوندى . نجنزبكو كيلنجا كواكو .

ومعنى هذه العبارة حرفياً :

ما فعل هو لا شراً ما شعر هو لا بألم

ما هم مامرضى = ما فعل شراً . ما شعر بألم ما هم مرضى .

كيف يمكن إذن أن تفسر هذه الظاهرة التي شاعت في الغالبية . العظمى للغات

العالم ٩ .

هناك حقيقة يجب أن نذكرها دائماً لنستطيع تفسير هذه الظاهرة التي نحن
بصددها وتلك الحقيقة هي أن تكرار أداة النفي لتأكيد معناه يقع دائماً في تلك
اللغات التي صفت فيها الأداة فأصبحت مكونة من صوت ساكن واحد مثل
n أو ne وهكذا .

ففي تلك اللغات يطلب اتصال هذا النوع من الأداة بالكلمة التي تليها فلا يستطيع
تمييزها منها إلا بمجهود عقلي يفر منه عادة الرجل العادي . ولهذا مال الناس في
كلامهم إلى الرغبة في تكرار الأداة في مواضع مختلفة من الكلام الواحد لظهور
أهمية النفي وتأكيده في ذهن المتكلم والسامع خشية أن تغمر أصوات الجملة ذلك
الصوت الضئيل الذي يعبر عن النفي فلا يلتفت إليه .

من أجل هذا يعتمد المتكلم تحت تأثير شعور قوي إلى تكرار الأداة لجعل
النفي مؤكداً لا مجال للشك فيه .

وتنضح أهمية هذا التفسير حين نعرف أنه لما طالأت أداة النفي في الإنجليزية ،
فأصبحت not وفي الألمانية nicht فن تكرارها في الجمل . ولكن انكماش أداة
النفي الإنجليزية not إلى n't في السنة العامة أعاد إلى الكلام تكرار الأداة فنسمع
الآن تكرارها في جمل مثل :

I haven't said nothing .

هذا إلى أن الأداة الواحدة في الجملة الضويلة . تتطلب مجهداً عقلياً من المتكلم
والسامع . فلا بد من تذكرها خلال الحديث وقد يطول الكلام فيفسى أنه بدأ
بأداة نفي . ولهذا يحرص المتكلم والسامع على تكرار الأداة التعمد إلى ذهن كل
منهما معنى النفي الذي أوشك أن يغمره طول الكلام

أمائل نفى بعد هذا الشرح ما أصيب البيئة اللغوية السامية من هذه الظاهرة ؟
 سأحاول في هذا المقال أن أبين ظاهرة نفى النفي في اللغة العربية . دون التعرض
 لآخواتها السامية . التي أرجىء البحث فيها لفرصة أخرى .

أصبحت الآن أرجح أنه قد أتى على اللغة العربية طور لغوى شاعت فيه ظاهرة
 نفى النفي لمجرد تأكيد النفي وأن العربي القديم لم يعمد إلى هذا إلا لحرصه على إظهار
 معنى النفي وتوضيحه لاستعصاره الأداة التي كانت مجرد « لا » أو « ما » أو « إن »
 وفي كل من هذه الأدوات الثلاث تتركب الأداة من صوت ساكن واحد هو اللام
 أو الميم أو النون . فالتخذت اللغة من أجل هذا أحد طريقتين إما تكرار الأداة في
 مواضع مختلفة من الجملة أو تكوين ما أسميه بأداة النفي المركبة .

وقد رويت لنا اللغة العربية . وفيها صور كثيرة لأساليب تكررت فيها الأداة
 كما رويت لنا الأدوات المركبة . وقد استطاع النحاة تفسير معال بعض أدوات النفي
 وغفلوا عن تفسير البعض الآخر لعنايتهم بعملها الاعرابي .

فأدوات النفي في اللغة العربية . إما بسيطة وهي « لا » ، « ما » ، « إن » ، أو مركبة
 من أكثر من واحدة من هذه الأدوات مثل : لن . لم . إلا . ما إن . فلا أولى مكونة
 من أداتى النفي لا ، إن والثانية من « لا » ، « ما » ، والثالثة من « إن » ، « لا »
 والرابعة من « ما » ، « إن » ، والقسمة العقلية . تقتضى أن يكون بين الأدوات المركبة
 أداتان مركبتان غير الأربعة السابقة هما « إن ما » ، « ما لا » ولست أعرف نصا
 عربيا استعمل فيه مثل هاتين الأداتين المركبتين للتعبير عن النفي .

والنحاة في تفسيرهم للأدوات المركبة الأربعة عتروا العناية كلها الناحية الاعرابية
 فاضموا بحزم المضارع بلم وبنصبه بلن . وألفوا بابا مستقلا سموه الاستثناء . يولا .
 ثم جاموا إلى « ما إن » فقالوا إن « إن » زائدة حين أعيانهم تفسير هذه الأداة المركبة
 الظاهرة التركيب .

ولا شك أن النفي بأداة مركبة أكد وأقوى من النفي بأداة بسيطة وتشارك
 جميع الأدوات المركبة في صفة واحدة وهي أنها جميعا تفيد تأكيد النفي وأن النفي معها
 أكد من نفى بأداة واحدة . ولكن الاستعمال اللغوى فرق بين تلك الأدوات

المركبة فاختصت كل منها بناحية تنظيمية Syntactical . فمنها ما يختص بالماضي وما يختص بالمضارع ومنها ما لا عمل له في الجملة إلا مجرد النفي ومنها أداة تنفي ما بعدها وأخرى تنفي ما قبلها وسيأتى بيان هذا النوع الأخير . على أن الأدوات المركبة رغم تلك الخصائص في الاستعمال تشترك جميعا في أنها تنفي نفيا مؤكدا .

وقد أجمع النحاة على أن النفي « بلى » ، « آكد » . بل بالغ بعضهم فجعلها لتأييد النفي مما هو معروف في كتبهم . ولكنهم حين تعرضوا للمقارنة بين النفي « بما » ، « ولم » ، لم يمتدوا إلى قوة « لم » ، من ناحية النفي واهتموا فقط بحزمها وبزمن الفعل معها اللهم إلا تلك الإشارة المقتضبة التي رويت في كتاب سيبويه والتي لا تستند على نص عربي واضح حين قال في صفحة ٤٠٨ : من الجزء الأول :

إذا قال فعل فتنفيه لم يفعل

وإذا قال لقد فعل فتنفيه ما فعل

لأنه كأنه قال والله لقد فعل فقال والله ما فعل .

فيمهم من قول سيبويه أن النفي « بما » ، « آكد » من النفي « ولم » . ولعل هذا السهو الذي وقع فيه سيبويه لم يكن إلا نتيجة اختصاص « ما » ، بوقوعها في جواب القسم بخلاف « لم » ، التي لا تكون جوابا للقسم .

على أن التوكيد في حالة « ما » ، مع القسم ليس من عمل الأداة وإنما هو من عمل القسم الذي لا ينكر أحد أنه يؤكد معنى الجملة نفيا وإثباتا فالنفي بما الذي يحتاج في توكيده إلى القسم لا شك أعنف من النفي « ولم » ، التي لا تكون جوابا للقسم .

ألا ترى إلى الآية الكريمة :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » .

ولا شك أن المجال هنا مجال توكيد عدم إيمانهم .

وإن استقرأ الأساليب العربية سيؤيد ما أذهب إليه من أن النفي « بلى » ، « آكد » من النفي بأداة بسيطة مثل « ما » . على أن قوة الأداة وضعفها خاضع للتطور اللغوي فقد نجد بعض الأمثلة التي استعملت فيها « لم » ، ولا نلمح فيها تأكيدا للنفي . وذلك لأن التطور الذي نرجح أنه مر على اللغة العربية وفيه استعملت الأدوات المركبة

لأن كيد النفي قديم بعيد في القدم . فليد غريبا أن نجد النفي « بلم » قد فقد شيئا من قوته في بعض الأمثلة العربية التي رويت لنا .

أما « إلا » التي خصصت بالاستثناء فأذا أمعنا في النظر في معناها وجدناها لا تخرج عن النفي المراد به تأكيد النفي . وقد تذهب بعض النحاة لشيء من هذا مثل ابن يعيش حين يقول في باب الاستثناء : « فلا تخرج الثاني عما دخل في الأول فهي شبه حرف النفي فقوانا قام القوام إلا زيدا بمنزلة قام القوم لازيدا » .

ولهذا يجب ألا نفهم من أمثال الآية الكريمة « وما محمد إلا رسول » أنه تعالى يريد أن يؤكد الرسالة لمحمد فطرق التوكيد في حالة الإثبات لها ومماثل أخرى كالقسم وإن وغير ذلك . بل المراد من الآية نفي أية صفة أخرى عن محمد . ومثل هذا الاستعمال له مجاله ومقامه . وقد استعمل هنا لدفع الشك في نسبة صفة أخرى لمحمد .

على أن شيوع « إلا » في الاستعمال جعل لها صفات خاصة ليست لغيرها من أدوات النفي المركبة . ولهذا أفردت لها الأبواب وخصصت باستعمالات جمعها السيوطي في كتابه الاتقان فقال « وهي على أوجه أحدها الاستثناء متصلا أو منقطعا والثاني أن تكون بمعنى غير والثالث أن تكون عاطفة والرابع بمعنى بل » .

وفي معظم هذه الأوجه لا تخرج « إلا » عن أن تكون أداة نفي مركبة أما « ما إن » فلا معنى لأن نفر من تفسيرها كأداة مركبة للنفي ونقول كما فعل النحاة إن « إن » زائدة

وهذه الأداة لم ترو لنا على تلك الصورة القديمة — أعني ما إن — في القرآن الكريم ولكن رويت لنا في الأشعار القديمة مثل قول عبد الله بن ثعلبة الحنفي :

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت وييت لمبت بالغناء جديد

أما الصورة الجديدة لهذه الأداة المركبة فهي « من » التي تفيد التخصيص على العموم فالمراد بقوله تعالى : « وما يخفى على الله من شيء » تأكيد نفي الخفاء على الله أيا كان قدره .

وليس يعنى شرح كيف تطورت « ما إن » إلى « من » بل يكفى أن أرجح أن همزة « إن » سهلت أولاً ثم انكشفت الاداة لكثرة استعمالها فكان حقاً أن تصبح « من » بفتح الميم ولكن التباس « من » الاسمية بالحرفية جعل القياس يلعب دوره . فقيست هذه الاداة بمن الجارة التي تشاركها في الحرفية ونطق بها « من » بالكسر .

والقياس اللغوى يلعب دوراً كبيراً في تشكيل كثير من المظاهر اللغوية حتى في لغة الاطفال مما هو معترف به بين المحدثين من علماء فقه اللغة philology هذا إلى أن « من » هذه قد اختلفت أيضاً عن « ما إن » في موضعها من الكلام . بقيت كلمة أخيرة وهي أن الميم التي هي أحد أصوات الشفة قد قلبت أحياناً إلى صوت شفوي آخر وهو الباء في أكثر من ظاهرة لغوية . فنحن نعرف هذا في اللهجات العربية القديمة وهو يروى لنا في كتب الاقدمين كلهجة شائعة في قبيلة مازن فيقولون (بااسمك) في (ما اسمك) .

ولهذا يرجح عندى أن صوت الميم في أداة النفى (ما) قد قلبت (باء) في بعض اللهجات القديمة وأدى هذا إلى استعمال الباء أداة نفى . وهو ما نرى أثره ظاهراً في خبر ليس و (ما) .

وقد أجمع النحاة على أن النفى مع الباء في خبر ليس « وما » أكد منه بدونها وإن ضلوا الطريق سوى فسموها مع هذا زائدة لا فالمراد من قوله تعالى « وما ربك بظلام للعبيد » ليس إلا تأكيد نفى الظلم عنه سبحانه وتعالى فتكررت لهذا أداة النفى في موضعين مختلفين .

وترتب على انقلاب الميم « باء » أن وجدنا بين أدوات النفى أداتين مركبتين للنفى أيضاً هما « بل » و « بلى » . وقد أغنانا بعض النحاة عن القول إن « بلى » تطور « لبل » فقد روى هذا عنهم وهو مذكور في المطولات من كتب النحو .

وهاتان الاداتان بل ، بلى تؤكدان معنى النفى في الاستعمال وإن اختلفتا بعض الشيء عن اخواتهما من الادوات المركبة الاخرى . وتتحد هاتان الاداتان في أن كلا منهما تستعمل جواباً لكلام قبلها فتنفيه . ففي حالة « بل » الامر حين واضح

فالمراد من قوله تعالى « أم يقولون » جـ . با جـ . با جـ . با جـ . تأكيد نفى الكلام الذى قبلها وهو « أم يقولون » جـ . وهذا النوع من الاستعمال « ليل » هو الشائع الغالب .

أما « بلى » ، فرغم أنها دائماً تبطل الكلام الذى قبلها ، تؤكد نفية فعلها استعمالاً لـ متميزان : الاول استعمالها بعد استفهام دخل على نفى مثل « أيجيب الانسان أن لن نجتمع عظامه . بلى » ، « بلى » فى هذا الموضع تنهى نفياً مؤكداً الكلام الذى قبلها مع التوبيخ والتفريع . الثانى أن تكون رداً على « لنفى » الذى فى الكلام قبلها فتبطله وتنفيه نفياً مؤكداً يترتب عليه بطلان الحال لإثبات ضده . وهذا هو الاستعمال الوحيد الذى يتكون فيه نفى النفى بالمعنى المنطقي أو الرياضى والذى ينتج الاثبات لان التفيين فى هذا الموضع وقعا فى كلامين لا فى كلام واحد فهو بمثابة قول اثنين من الناس أمام القاضى :

— ما أخذت ماله — فيرد الآخر ويقول :

— هذا غير صحيح —

فليس هذا الاستعمال بمانع لنا من القول إن « بلى » ، تفيد نفى النفى أو تأكيد النفى فى جملتها وهى تكون بذاتها جملة مستقلة لا تستعمل إلا إذا سبقها كلام . أما نتيجة الكلامين فهو شىء آخر غير مانحن بصدده من أن نفى النفى فى الكلام الواحد تأكيد للنفى من الناحية اللغوية .

وقد تكرر الأداة فى الأسلوب العربى فتستعمل فى الجملة الواحدة عدة أدوات للنفى فلا تفيد إلا تأكيداً للنفى رغم هذا التكرار . ففى مثال « وما من إله إلا الله » ، خمس أدوات للنفى .

ابراهيم أنيس

المدرس بجامعة فاروق

بعض المذاهب الأدبية

للاستاذ عبد الحميد حسن

ينسب الأدباء في تصوير الحياة ومظاهرها مذاهب شتى ترجع فيها بعض الاتجاهات ، وتغلب وجهات من النظر على أخرى ، فمنهم من يتجه إلى الحقائق وصورها الطاهرة ، ومنهم من يمتنع إلى الخيال ويرى فيه التخلص من المادة والتحرر من قيودها ، ومنهم من ينظر إلى ما تنطوى عليه الحقائق وما يكمن وراءها من معان وألوان من الإيحاء .

ومن هذا نشأت مذاهب ثلاثة وهي : الواقعي ، والمثالي ، والخيالي . ولكي نعيّن ملامح هذه المذاهب نتجه إلى حقيقة الأدب لرى مدى ما هنالك من صلة بينه وبينها ، ولنعرف ما عسى أن تتضمن من اتجاهات أدبية :

ومن المعلوم أن الأدب هو صورة صادقة من الحياة وما يجري في أعماق النفس ، شعرة هذه الحياة والبحث في حدودها ، وفهم ما ينعكس من صورها على صفحات النفس . وتفسير ما يكمن في ثنايا مظاهرها من المعاني ، كل هذا مجال واسع لعقول الأدباء وميدان فسيح لافكارهم .

وليس الأدباء سواء في اتجاههم ، فمنهم من يتجه في إدراك الحياة إلى الحقائق الخارجية الواقعية ، ومنهم من يخرج عن دائرة الواقع المحسوس إلى الفسيح من ميادين الخيال ، ومنهم من يميل إلى جانب المنعكس العليا ، فلا يرى في الحياة ظواهرها السطحية بل ينفذ إلى ما يكمن فيها مما لا تراه النظرة العابرة . وعلى ذلك نجد الاتجاهات التي أشرنا إليها .

(١) فالمذهب المافقي أو لاب لوقتي تصور الحياة الطبيعية المألوفة ويوجه إلى الحقائق الخارجية الواقعة، التي تستوقف الحواس ويمس بها الناس في حياتهم. وأنصار هذا المذهب هم من يمدون إلى الصريح من الحقائق، والخالص من مظاهر الكبر، والواضح من ألوان الحياة، ويحولون في أفق الواقع فلا يهتمون في سماء الخيال، ولا يخرجون عن نطاق ما يرون من طواهر الحقائق. وهم يرون أن الأدب الحيالي بعيد عن مسيره فوازين الحياة الواقعية ونظمها. وينظرون إلى مافيه من مشغفات وطرائق نظرت إلى ما تنعش به أراخض من لعب ومباحث وزخارف.

وهذا المذهب ليس صيب المذهب كما ينبغي، فإن أصبح لا يقتصرون في الحياة الحاضرة كما نراها، بل يتحدسون من صفحات ما تسمى وحية السابقين مجالا لأدبهم، وصورا يبرزونها عرائهم، وليس أنهم كذا، بل حلوا من الخيال الراق من الوجدان الذي تنسج عناصره من الواقع.

ولكن اسرافهم في الجري وراء الحقائق ووقوفهم عند طاهرها يبعدهم عن حقيقة لها مكاتبا في الأدب، وهي أن قيدهم ليس في واقع من الحقائق بل في تأثيره من عواطف، وما تتضمنه من نفوس لعامة حياتهم. فالحقائق أشبه بالسلح ليس لها في ذاتها قيمة، وإنما قوتها في ارتباطها بسائر واقعيتها بما يتأثر بها. وإن الفنون لا ترمى إلى عرض الحقائق بل إلى عرض أثرها في نفس القارئ وصيغها بلون جديد من ألوان الحياة صادقة وكل هذا عندنا ليس له أصل إذا نحن لم نخرج عن نطاق الحقائق الواقعية المائلة أمام حواسنا.

وإلى جانب هذا نرى أن الجري وراء الواقع ينتهي بنا إلى حياة جامدة مقيدة بما يحيط بنا من مظاهر وبما يغمرنا من تقاليد العرف الذي يملك علينا حواسنا، ويغلبنا على عقولنا وتفكيرنا، ويحول بيننا وبين الحقائق البعيدة عن التوهم والتكلف، ويصرفنا عما قد يكون في الحقائق الواقعية من انحراف أو شذوذ أو اضطراب. وأما لنرى ذلك في أنفسنا، فإن ما المنة من تقاليد الحياة، وما يحيط بنا من نظم

المجتمع ومواضعاته وعادات أهله يمتزج بنفوسنا ، ويتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا ، فلا نرى مانحن فيه ثما يتجه اليه النقد وما ينحرف عن الصواب .

على أن لا بعض النظر عما في هذا المذهب من مزايا ، ولعل أوضح ما فيه من محاسن ، وأقوى ماله من أثر هو في هذا الجانب الوفاي . فالأدب الواقعي خير علاج هما التورط والتدهور الذي قد تصل اليه الاتجاهات الأدبية التي تتخذ مقياسها من مظاهر صناعية مكلفة لا تمت إلى الواقع بصلة ولا ترتبط بالحياة في صميمها .

٢ - المذهب المثالي

وأصحاب هذا المذهب يتجهون إلى الحقائق ، لكن لا في شكلها الواقعي ولا فيما يبدو من مظاهرها الخارجية ، بل ينعدون إلى ما يمكن فيها من المعاني وما يتغلغل في طياتها من ألوان الأيحاء ، ويبرزون كل ذلك في صورة تسطع من خلالها معان كامنة لا يراها إلا من كشف عن عقلهم العطاء فرأوا ما في ثنايا الحقائق ، وما تنطق به من بديع المعاني .

وإننا نرى ذلك فيما حولنا من مظاهر ومناظر ، من تغريد الطيور ، ومتلاطم الأمواج ، وياضع الثمر ، وياضع الأزهار ، والسحب والكواكب وأنواع الطيور وغير ذلك ، ففي كل هذا لا يرى النظر السطحي إلا أصواتا وألوانا وأجساما ، ولكن المثالي يرى فيها آيات رائعة ، ويلج في الصامت من الحقائق يباين أقوى الدلالة وفي الثابت ألوانا من الأشعة المعنوية تخرق الفضاء ، وتسبح في الجو فتملؤه بهجة وروعة . .

وكذلك ترى المثاليين ينفذون إلى الفطرة الإنسانية فيرونها على صورتها الواضحة . ويتبينون ما في تصرفات بني الإنسان وسلوكهم من تكلف أو جمود أو نزوع إلى المحاكاة وسهولة الانقياد للمألوف ، والأذعان للأمر الواقع الذي انطبع في مظاهر الحياة ، يتبينون كل هذا فيرهفون أفعالهم لعلاجهم وتخليص العقول من أغلاله ، ويرسمون للفكر الإنساني نهجه القويم

٣ - المذهب الخيالي

وأصحاب هذا المذهب يحاولون التخلص من قيود الحياة الخارجية ، ويطلقون
 خيالاتهم العنان فيبرزون من المعاني شتى الألوان ، ويعمدون للبألوف فيغيرون من
 أوضاعه وأشكاله ، ويصوغونه صوغاً جديداً ، ويخرجون منه مناظر طريفة ، ولا
 يقتصرون في ابداعهم على الطبيعي من المناظر بل يحولون في المبداء النفسى
 والاجتماعى فيجسثون بصور من الاحلاق والشخصيات في مظاهر جديدة وهم في كل
 هذا يسرون في حدود القوانين الحيوية والقواعد العامة للانسانية

ولهذا المذهب مكانة في الادب ، لما للخيال من أثر في الابداع وجمال التصوير
 وأن الكاتب الذى يتخذ من الخيال وسيلة لحيته أنه يستطيع أن يتنقل بالقارىء
 فى أودية من المعاني ، وألوان من طرائف الحياة ، ويسمح به فى علم يرى كل ما فيه
 جديداً ، ويحس بأن حياته قد نهجت نهجا جديداً ، وأن ما حوله قد اصطبغ بصبغة
 جديدة ، وطهر على غير ما كان يعهد ، فيرى البعيد قريباً ، والقليل كثيراً ، والصعب
 هيناً ، والبغض محبباً ، أو يرى عكس كل هذا .

والكاتب الخيالى إذا كان رائده سامى العايات ونيل المقاصد . استطاع أن
 يكون سرشداً إلى الجديد النافع ، وحافراً على جليل الاعمال ، ويكون تصويره
 باعثاً على النشاط النفسى ، وعونا على سعة الافق العقلى ، وموحياً بأنواع جديدة من
 نظم الحياة ومناحي التفكير . اما إذا اشتط وهام فى وديان الضلال ، وخرج على
 قوانين الحياة فان إنتاجه يكرن ضعيف الاثر أو منحرف القصد . وقد يوقظ
 عواطف هابطة فينحرف بالخلق عن سواء السبيل .

* * *

وإذا نظرنا إلى ما بين هذه المذاهب من صلة ، وجدنا أن المذهب الواقعى لا
 يلاقى المذهب الخيالى فى ميدان ، بل هما متقابلان ، فالواقعى يرتبط بالحقائق ،
 والخيالى لا يتجه إليها بل يخلق فى ميدان الابداع والابتكار . والواقعى والمثالى

بينهما صلة من بعض النواحي فكلاهما موضوعه الحقائق ولكن الواقعى يصورها كما هى فى الخارج وفى رأى الحس . أما المثالى فانه ينفذ إلى باطنها ومعانيها الكامنة .



وانت بعد هذا نظرة سريعة على نصيب الأدباء واختيارهم مذهباً من هذه المذاهب ونصيب أدبنا العربى منها . أما الادباء واختيارهم مذهباً من هذه المذاهب فانه يرجع إلى ميوعهم واستعدادهم وما احاط بهم مما يبعث على تنشيط الخيال او تقييده ، أو إلى تغلب الحياة المادية التى تجتذب التفكير وتصرف العقل عن التحليق فى ميادين الجديد المبكر . فمن الكتب من طبع اذبه بطابع حياى عميق ، ومنهم من تقناه الحقائق الطاهرة فينسج منها أدبه ، ومنهم من يندد المثل العليا ويخرج إلى ما وراء المادى المحسوس ، وينفذ إلى أعماق الحياة وما فيها من مظاهر طبيعية ونظم اجتماعية وعادات وطباع ، ومنهم من يأخذ من كل هذا بطرف فتحنى فى أدبه الوان من الواقع والمثل الاعلى والخيال

واسئنا نريد بهذا أن نجرد أنواعا خاصة من الادب من الخيال ، فانه من الدعائم ذات الشأن فى حسن الابانة وجودة التصوير ، وله شأن فى جميع الفنون ، ولا أن نضع حواجر منيعة بين هذه المذاهب فنحظر ان يعاود بعضها بعضا ، ولا أن نقيد الادب بمذهب منها لا يتعداه فى جميع أحواله .



أما نصيب الأدب العربى من هذه المذاهب ، فانا نجد منها ألوانا منثرة فى ثناياه ، ونجد من ضروب الخيال قدراً عظيماً يتجلى فى أنواع الاستعارة والتشبيه ، وفيما سطره بعض الأدباء من قصص مثل رسالة الغفران للبرقى ، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الابدلى ، وفى المقامات . ونجد كذلك من حقائق الحياة وروائع الحكم ونواحي المثل العليا قدراً ليس بالقليل مثبتاً فى ثنايا المأثور من نظم ونثر فى عصور الأدب العربى المختلفة ولا سيما العصور

الخصبة الزاهية التي تجلّ فيها العقل العربي الخالص ، أو الذي اصطبغ بما كان
للعناصر التي دخلت في حوزة العرب من علم وفن ومدنية . وأنا ترك ذلك
للباحث بتعرفه من قراءة فنون الادب العربي في مختلف المراحل من قديم
وجديد .

عبد المحميد
الأستاذ بدار العلوم

الجمال الفني في كتاب البؤساء

لخضرة السعدية - عيسى الخطيب

اثارة من أمي محسن، وحسرة من أمي من تعذيب ما كذب العربي هذا ذكر حافظ وشوقي فيمنعنا الجرح من أن نعلم على جبارين من جبهة الأدب، أقصى بهما ولع نشون إلى أن نعلم من مصت، ومن كان التراب مصير الأولين والآخريين إن الحلود مسير العصور والناس. ومن اجدر بالخلود من حافظ وشوقي؟

وقد رعم بعض الناس أن حافظ بات محدوداً كما عاش محدوداً. فلم يشبعه إلى رسمه إلى نهر قليل من أسرار الحياة. ولا تهم له حفلة تأبين تليق بمنزلة الأدبية كمشاعر مع الدولة في ذلك الوقت من حياة مصر مرة الاجتماعات في عصره وزعم هذا الناس أيضاً أن شوقي مات من كآبة عاش محدوداً. فنبع إلى مقرة تشديداً رسمياً، وأقيمت له حفلة رسمية في الأول من أكتوبر سنة ١٩١٤ م. فيها كثير من شعراء الشرق وأدبائه فاجتمع له بذلك سعادة الحداثة، البعيدة وترتف العظم وسعادة الموت بالذكر الحسن والثناء الجميل.

ثم جفت المآقي من الدمع، وتطايير أصدى من السمع، فإذا الشاعران لعظيمان في الموت مستويان. وإذا بالباقي عيون الرمن مصيدة فها شوقي في صديقه وحبيبه حافظ، خلداً معاً. هذا رأت ودك مررت وانتزعت من السماوات تلك الصفة التي استبد بها أربعة عشرين عاماً كاملاً، وهي صفة الوفاء التي أتي عليها شوقي بالشرط الأول من مصلح قصيدته

قد كنت أوثر أن تقول دثاني بامنصف الموتى من الأحياء

ولكنه أبو إلا أن يذكر صديقه بالوفاء للحق وللإستاذ الإمام فقال:

الحق نادى فاستجبت ولم نزل للحق تحفل عند كل نداء

وأنت صحراء الإمام تذوب من طول الحنين لساكن الصحراء

ولقد كان حافظ وفيما للإمام محمد عبده حق الوفاء يتجنى ذلك في كثير من شعره .

ورسائله اليه وفي قصيدته التي رثاه بها حيث يقول :

فيا منزلا في عين شمس أطلني وأرغم حسادى وغم عداى

دعائمه التقوى وأساسه الهدى وفيه الأيادى موضع اللبائى

عليك - لام الله مالك موحشا عبوس المغافى مقعر العراضات

وكان من وفاء حافظ للإستاذ الإمام أن تقدم اليه بكتاب البؤساء بعد أن

عربه بهذه الكلمة : « إنك موئل البائس ومرجع اليائس وهذا الكتاب - أيدك

الله - قد ألم بعيش البائسين ، وحياة اليائسين ، وضعه صاحبه تذكرا لولاة

الامور وسماه كتاب البؤساء وجعله بيتا لهذه الكلمة الجامعة وتلك الحكمة البالغة

الرحمة فوق العدل

وقد عنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب وتصرفت

فيه بعض التصرف واختصرت بعض الاختصار ورأيت أن أرفعه إلى مقامك الأسنى

ورأيك الأعلى لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث

أولها : التيمن باسمك ، والتشرف بالانتماء اليك . وثانيها : ارتياح النفس -

وسرور اليراع ، برفع ذلك الكتاب إلى الرجل الذي يعرف مهر الكلام . ومقدار

كد الأفكار . وثالثها : امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ما وضعه

حكيم المغرب إلى حكيم المشرق .

فليتقدم سيدى إلى فتاه بقبوله والله المسئول أن يحفظه للدين والدين وأن يساعدنى

على إتمام تعريبه للقارئين ،

وكان الأستاذ الإمام رضى الله عنه أول من عنى بدراسة كتابي ودلائل

الاعجاز ، و « أسرار البلاغة » ، للإمام عبد القاهر الجرجاني . وكان - كما يقول

حافظ - الرجل الذي يعرف مهر الكلام ، ومقدار كد الأفهام . وكان حافظ

من تلاميذه الذين تعصبوا منه الحسنة وفصل الخطاب ، وتأبوا بأدبه ونهجوا منهجه .
ولا شك أن الإمام قد أرشد حافظا إلى هدي السكناين ، وحثه على تفهم ما فيهما
من أدب عال وبعد صحيح كما أرشده إلى غيرهما من كتب الأدب ، وكان حافظ
فيها ، ذكي الفؤاد ، قوى الذاكرة ، وكان مشغوبا بالجرالة يفضلها على السهولة ،
لأنه كان جنديا من ناحية ، وكان عظيم الجرم ، جدير الصوت من ناحية أخرى ،
وكان يتأثر من ناحية ثالثة أثر استياده في الشعر ، محمود سامي البارودي باشا .
كل أولئك ، كان له أثر عظيم في نفس حافظ ، حينما عرب كتاب البؤساء ؛
فإن النماط في هذا الكتاب يلاحظ كثرة الكلمات اللغوية في غير نبر ،
والمثال فيه يلاحظ كثرة الاستعارات في غير سقم . والمحقق له يلاحظ كثرة
الاقتباسات في غير استيحاش .

(١) أما الكلمات اللغوية فمنثورة في ثنايا سطره ، انقراوت وجدت : ولعل السر
في ذلك راجع إلى حذب حافظ على اللغة العربية ، ذلك الحذب الذي ظهر جديا في مقدمة
كلية في التعريب ، حيث يقول :

ومن نظر في بطون تلك الكتب التي تترجم اليوم رأى هذه العادة الشرقية
وهي على فراش موتها ، تدب خدرا قد ابتذله الأقلام ، وسترا قد انتهكته
الأوهام .

وقد فتحوا لها في بطون هذه الكتب قبورا ، وغاطوا لها من تلك الصحف
أكفانا ، وهياؤا من هذه الأقلام أعوادا ، وما هو إلا يثنى ذلك الغربي بدعوته ،
حتى يسرع إلى جنازتها أهلها وذوو قرابتها

اللهم أنت تعلم أننا نعلم موضع الداء وفيينا الطيب الماهر ، ونسمع ذلك النداء
ومنا المعين المناصر ، اللهم أر هذا خذلان منك ، فأدركنا رحمتك ، وهي لنا .
من أمرنا رشدا

والذي ظهر بأجنى معانيه في قصيدته الثائية على لسان حمار اللغة العربية ،

حيث يقول :

فيا ويحكم أبلى وتبني محاسنى ومنكم وإن عز الدواء أسأتى
فلا تسكوتن للزمان فأنى أخاف عليكم أن تحين وفاتى
وإحياء اللغة إنما يكون بإحياء مفرداتها وتراكيبها ، ولذلك لم يأل حافظ جهداً فى
الأخذ بناصرها من هاتين الناحيتين . انظر مثلاً إلى قوله :

وقال له صاحبه وهو يحاوره : لقد بالعت فى محاسنتك كى لأجيبك بالرد .
وكرهت أن أجمع عليك بين مرارة الجوع وغضاضة المنع ، فأبيت إلا الإصرار ،
فاغرب عن أيها الرجل ، ولا تلحف فى السؤال . فأنا أعلم بك منك ، فأنك ترى
أول ما ترى هذا الاقتباس البديع من القرآن الكريم فى صدر الجملة ، قال له صاحبه
وهو يحاوره ، وترى هذا الأسلوب العربى الصميم فى قوله : كرهت أن أجمع عليك
بين مرارة الجوع وغضاضة المنع ، وقرى إلى جانب هذا وذاك ثلاث كلمات قلما
يستعملها غير الخاصة من كتاب هذا العصر ، وهى : لأجيبك ، و : اغرب عى ،
و : لا تلحف .

وانظر إلى قوله : أين عين فانتين ، ترى ذلك الطمر الذى تفضل الأبر سبيلها فى
شقوفه . وينتهى العد دون خروقه . تضحى فيه وتخصر . وتنطوى تحته وتنشر ،
تبكر بكور الغراب إلى كنف الدار والفناء . وتنطلق والصبح والليل خيطان إلى
حمل الماء . .

ألست ترى عجباً فى قوله ، تفضل الأبر سبيلها فى شقوفه ، وفى قوله ، وتنطلق
والصبح والليل خيطان ، ثم ألست ترى عمر بن أبى ربيعة واقفاً بجانب هذا الكلام
ينشدك قوله

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيخصر

ثم ألست تلح خلال هذا الكلام قوله تعالى : واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخط الأبيض من الخط الأسود من الفجر ، وما بال كلمة : الطمر ، هنا تمثل معنى
البؤس والفاقة أتم تمثيل . وما بال السجع هنا حلوا رقيقاً وما بال الطباق بين كلمتى

« توضحي وتخصري ، وكنتي تطوي ، وه وتنشر ، سهلا سائغا . وانظر إلى قوله
« وكانت الخبي تمشي في سظام تلك الغموة في نفسها فمر بها قطع من الليل وهي تهذي
وتصيح . ثم حدها الشوم فقامت حتى اطم النهار أو كاد ، أما أنا فأرى أن حافظا
قد فاق أبا الطيب حيث جعل الخبي تمشي في العظام وأبو الطيب جعلها « تبيت »
في قوله .

بذلك لها المطاوع والحشايا فعاقتها وبانت في عظامي .
وذلك أن المتنبى حكة ، والألم المتحرك أشد من الألم الساكن ، وأعل حافظا
لمح على البعد تخائب قول أبي الطيب قول أبي نواس
« فتمشت في مفاسلهم كتمشي البرء في السقم

وأخذ منهما معا وتم له ما أراد . على أن المتنبى ما كان يستطيع أن يقول غير
ذلك . ثم انصر نظرة ثانية إلى هذه الجملة وانظر إلى قوله تعالى « فأسر بأهلك بقطع
من الليل ، فأنتك معجب بهذا الاقتباس أيضا .

وأنا وأنت — إلا إذا كنت قد قرأت « أساس البلاغة » ، لانعرف إلا أصبح
وأضحى وأمسى بمعنى دخل في وقت الصباح وفي وقت المساء . أما أفجر الرجل
إذا أدركه الفجر ، وأظهر النهار ، إذا كان وقت الظهيرة فهذا ما لم يقع عليه نظرنا
إلا في كتاب البؤساء

وكان حافظ يعرف كيف يضع الأماضي مواضعها وكيف يستطيع أن يخلب
الألباب بفطنته وذكاؤه وحسن تصرفه انظر مثلا إلى قوله

« وقد كان يمسح الحزن ما كان على وجهها من مسحة ذلك الحال ، وأوشك أن
ينهب البكاء بما كان كامنا في محاجرها من ذلك السحر الحلال

فانتقلت حمزة وجنتيها إلى عينيها . وهاجر سواد لخطها إلى حظها ، وامتد اصفرار
شعرها إلى لونها . ودب سقم جفنها إلى صدرها . وسرى تحول خصرها إلى جسمها
والتقى في مآقيب دمع الحزن بدمع الدلال . واجتمع في قدها ذلك الهيف وذلك
الهزال .»

واسأل نفسك . لم جعل خبر كان الأولى كونا عاما وجعل خبر الثانية كونا

خاصا؟ وما السر في التعبير بهذه الأفعال السبعة المتوالية التي تدل كلها على الانتقال والتحول؟

ثم ما هذا الجمال الشائع في هذا الكلام

أما أنا فأقول ان جمال الوجوه شيء تراه العيون وتدركه الأبصار من غير حاجة الى اعمال فكر بخلاف سحر العيون فإنه لا يدرك إلا تأمل وأنعام نظر ولذلك جاء الكون الخاص هنا (كامنا في محاجرها) بدعا من القول لتوضيحه المعنى المراد ولإفادته المبالغة في الاستتار والاستقرار

وقد عبر حافظ بالفعل ، انتقل ، لقرب العيش من الجنتين . وبالفعل «هاجر» لما بين المحظ والخلف من بعد معنوى لأن الأول حسي والآخر غير حسي .

ولما كان السر يوصف بالطول والامتداد قال حافظ ، وامتد اصفرار شعرها إلى لونها ، ثم لما كانت المسافة بين الحفن والصدر بعيدة وطريقها مستره ملتوية من الأعصاب والأوردة المختلفة ولأن السقم لا ينتقل مرة واحدة بل ينتقل متمهلا في سطره وتسلسل كخيوط النمل ، عبر حافظ بالفعل «دب» الذي يدل على هذا المعنى أتم دلالة فقال «ودب سقم جفنها إلى صدرها» ثم إن أدع باقي الأفعال للقارئ الكريم ليعمل فيها فكره ورويته

وهنا دقائق يحسن بي أن أشير إليها في اختصار انظر الى كلمتي «كاد» و«و» وأوشك» وإلى كلمتي «يمسح» و«مسحة» وإلى حرفي الجر في قوله (ما كان على وجهها) و(بما كان كامنا في محاجرها) وإلى أسماء الإشارة في قوله (من مسحة ذلك الجمال) و(من ذلك السحر الخلال) و(ذلك الهيف وذاك الهزال) وإلى ذلك السجع الخلو الرقيق ، وإلى تلك الاستعارات المشرقة ، انظر إلى هذا كله يأخذك العجب وتدرک سر جمال الكلام .

٣) لقد وقع لحافظ في كتاب البزء من الاستعارات الصحيحة ، والتشبيهات البارعة ، والتعبيرات اللطيفة ، ما لم يقع لاحد في كتاب قبله أو بعده . وأنى مقف على آثار ما أقول ببعض المثل .

أ) من ذلك قوله على لسان صاحب الدار التي طرقها جان فاجان بعد أن شاع

خبره في مدينة ديني .

ولقد راعنى منك ما يروح امرء من قاتله وكأنى اسمع صوتا يقطر منه الدم)
أذكر أنى قرأت الجملة الاخيرة فى كتاب الكامل للبرد على لسان أعراية
طلب زوجها فى نار ، ومع ذلك فأنى أرى كأنها ما حلفت إلا لتكون فى موضعها من
هذا الكلام

وقوله تعقيبا على كلمة (سيدى) وموقعها من نفس جان فالجان ، حينما سمعها
من عابد مدينة ديني (ولا يزال المصاب فى شرفه على ظمأ إلى نهلة من موارد
الاحترام ، حتى إذا طهر بها أصبح مبرود الغليل) وقوله فى سراج العابد (أرى
سراجا مريض الغتيلة صليل النور) وقوله يصف الشتاء : فأذا الشتاء التالى يقرع
باب فانتين قرعا ، ينذرهما بيوم قصير وجو مطير . وضباب مقيم ، وأفق مظلم ، ونهار
يعتر صباحه بمسائه وليل بجمل أوله آخره ، وشمس رمداء وسماء مكسفرة الارجال ،
انظر إلى الكلمات (يعثر) و (يحجر) و (رمداء) ما أحسن مواقعها هنا وقوله فى
مادان وهو مسافر ليلا (وغاب فى أحشاء ايل قد كسر على الأرض جناحيه) هذه
استعارات يقف القيم أمامها فى حيرة من جلالها وجمالها

ب) ومن التشبيهات البارة قوله

والفكر كالبحر . فمن استطاع أن يرد البحر عن العود إلى شاطئه ، استطاع
أن يرد الفكر عن العود الى مناطه ، وعلة البحر فى ذلك يعرفها الملاح وهى المد
والجزر وعلة الفكر يعرفها المذهب وهى الندم ، فسيحان من يثير النفس كما يثير
البحر المحيط وقوله إنما تلتبس الحقائق فى دياجير أغوار الفكر ، فثلها كسحجر
الماس ، لا يلتقط إلا من طلبات المناجم بين سوادين من فحم وليل) وقوله (وسرى
اضطراب باطنه إلى ظاهره فجعل يترنح فى مشيته كأنه وليد قد خرج من الحبو إلى
المشى فترك يمشى وجده ، فهو لا يكاد يتناسك)

وقوله (وهما بنا فارس فى لون الرماد على فرس فى لون التراب عارى
الجسد ، أصلع الرأس جميعه حتى أن الناظر إلى جمجمته ليكاد يعد فيها فروع أوداجه
ج) وأما المقتبسات التى أتبع لحافظ أن يضعها فى تضاعيف البؤساء فكثيرة

بعضها من أشعار العرب وبعضها من النيران السكرية وتدل على سلامة ذوق ولطف مأخذ وغزارة مشرب وحسن وضع وجمال تدقيق واليك بعض المثل .

(١) فهو ما مر به طير إلا وفرغ ولا نبحه كلب إلا وجرع ، ولا دقت ساعة ولم يدق لها قلبه ، ولا لاح شبح ولم يسر له نيه ، وإذا أعشى سلب عليه سيوفها ، الأحلام ، وإذا تيقظ راشت إليه سهامها الأوهام

لم يكد القلم يفرغ من إبراد المثل على حلاوة لسجع حتى وقع هذا فيما هو أشبه وأحلى

وأنا ما ضربت هذا المثل إلا لأبين لك إلى جانبه قول أشجع لسلى في مدح الرشيد :

وعلى عدوك يابن عم محمد • رصدان ضوء الصبح والإطلام
فاذا تنبه رعبه وإذا غفا • سلبت عليه سيوفك الأحلام
(٢) وأصابته منه تلك اللقطة (سبدي) مواقع الماء من ذي الغنمة الصادي
وللقطامي :

بقتلتنا بحديث ليس يعلمه • من يتقين ولا مكنونه بادي
فمن ينبذن من قول يصن به • مواقع الماء من ذي الغنمة الصادي
(٣) وتسور الحائظ ونجا بنفسه وخرج مع الباذي عليه سواد ولشار :
إذا أنكرتني لئلا أو نكرتها • حجت مع الباري على سواد
(٥) فلقد فعل بالعلام ما فعل مسوقا بقوة الشر انى مزجتها بأجزاء نفسه مخاطبة
للأشرار في أيام سجنه ولا يدري أغيا كان يفعل أم رشادا ولأبي العلاء .

جهول بالمتاسك ليس يدري • أغيا كان يفعل أم رشادا
(٥) وذهب مادلين إلى مخدعه فلبث فيه بعض ساعة ثم أخذ مضجعه ونام
وشباب الظلماء في عنقوان ولأبي العلاء :

فكأنني ما قلت والبدر طفل • وشباب الظلماء في عنقوان
(٦) ثم زال عنها زوال السكينه عن فؤاد العدراء إذا لم تحصن فرجها وغادرها
وهي جفن سلاح . وللفرزوق .

وجعن سرح قد رزئت فلم أنح • عليه ولم أعت عليه لبوا كيا
 وق جروه من داره ذو حبطة • لو أن المنايا أنسأته ليايا
 ١٧ وتحسن بين ذراعها طهية ساجية لطرف عيلة اساق وضاعة الجبين لها من
 صدر أمها مهاد ومن ذراعها وساد • أحد الكرى بمقاعد أجمانها فنامت نوما هنيئا
 والبارودى :

أحد الكرى بمقاعد الأجفان • وهفا السرى بأعنة الفرسان
 ١٨ فخرجت ربه المزل بالصمت عن لا ونعم وأشارت برأسها إشارة تشعر
 بالتردد بين الرفض والقبول : ولبشار :
 وإذا قلت لها جودى لنا • خرجت بالصمت عن لا ونعم
 ١٩ وجرت حركات الدهر فوق تلك الحركة التجارية حتى اتسعت هائلها •
 ولأبي نواس :

معتقة صاع المراج لرأسها • أكاليل در ما لئاطمها سلك
 جرت حركات الدهر فوق سكونها • فدابت كدوبا التبر أخلصه السبك
 • (ذلك هو الرجل • جافير • الذى مافى • يتعقب مادلين ويسير على أثره
 مسير القضاء فى حجب الغيب
 ولأبن الرومى :

لك مكر يدب فى القوم أحنى • من ديبب العناء فى الأعضاء
 أو مسير القضاء فى ظلم الغية • بلى من يريده بالاستواء
 ١١ اللهم إنك تعلم أننى بعث الشعر والأسنان بيعة وكس وصبرت حتى
 ملئى الصبر • وللبحتري :

واشترأتى العراق خطة غبن • بعد بيعى الشام بيعة وكس •
 ولمصطفى صادق الرافعى :

طريفة يؤس مل من يؤسها الصبر • وطالت على الغبراء أيامها الغبر
 وأن كنت لا أدري أيهما أسبق

(١٢) فأصبحت لا تحشى نازلا ، وأمست لا ترجو نائلا ، وبانت لا تبالي ما انتفعت
بأن تبالي :

ولأبي الطيب

فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالروايا لاثنى ما انتفعت بأن أبالي
(١٣) قلبت في مكانه برهة أعوزه فيها النطق . وفترست طائر حلمه الدهشة
والذهول . وللبارودي :

فكانما اقترست بطائر حلمه مشمولة أوسع سم الاسود
(١٤) ولولا ما حملني أصحاب الزل من الديون . تهاكت وأزى غنى الدهر
وبالغت في تطفيف قرني الايام واليام . وللبه حترى :

وتهاكت حين زعزعنى الدهر ر النعاسا منه لتعسى ونكسى
(١٥) ولما لاشعر كأن قوة باطنه تسوقى اله فهو مدركى وان أمضت فى الهرب
وللتنايخة :

فانك كاللين الذى هو مدركى وإن خلت أن الملتأى عنك واسع
(١٦) فلو أن رائيا رأى الساعة لما شك فى أنى قريب عهد بالافاقة من سقم أو
بالافلات من برائن حادث .

ولأبي نواس :

بعيدة كـ الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالافاقة من سقم
(١٧) وإذا تأملت الاقدار فى مكروه ذلك الانسان فلك مشيتها ولا جد الشعراء

اليوم يومان مذ غبت عن بصرى نفسى فوادك ما دنى فاعتذر
أمسى وأصبح لا ألقاك واحزنى لقد تاق فى مكروهى القدر

لم أفق على هدير البيتين إلا فى كتاب دلائل الانجاز

(١٨) فقال لى أخى أعطف بنا على هذا الطريق الاجوف وكل طريقا سماءه
فى لون الارضه . وللراجز :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كان لون أرضه سماءه

وقد وقع عليه طارى في متن رندخيص المفتح ، بخطيب القرويني .

(١٩) وجعل يداي مدبه وينامس النافذة حتى أصابها ولبحترى :

يفتلى فيهم أرتياي حتى تتقراهم يداي بلمس

(٢٠) وكان الواسي في صلام - امرء - والضياب (من مسقف فوق الارض هيدبه)

ولعبيد بن الارص :

دان مسقف فويق الارص هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

هذا هو الاقتباس الوحيد الذي وضع بين قوسين وجه اليه الشاوش ولم يذكر

اسم الشاعر .

ذلك مبنع على نما اقبسه حافظ من الشعر فاما ما اقتسه من القرآن الكريم

فكثير يستصيع القارىء أن يدركه من سير كبه عناء ولكني سأورد بعض الأمثلة لذلك

أيضا اتما للبحث .

(١) لقد خيم الحزن على بصري فم المـ شارنت التي تحمها ولعلك عابـ بتلك البيعة

القريبة فلا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عمرا .

(٢) ثم احتملت طفلتها وخرجت تمشي على استحياء

(٣) اللهم ان كنت قد استرجعت مني هبة انظر فقد جمعت أفئدة من الناس تأوى إلى

والقرآن : فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم .

(٤) ودع عنك هذا الاغراق في الطلب واستغفر لذنبك ان كنت من الخاطئين والقرآن

(واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين)

(٥) فليرح المدينة متى شاء فكل أولئك لم أكن عنه مسغولا : والقرآن وإن السمع

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسغولا .

(٦) خرك منه الرئيس بكلمات قسمة والقي عليه قولاً ثقيلاً: والقرآن وإن استلقى عليك قولاً ثقيلاً.

أما بعد : فقد قال ابن المقفع : ومن أحد كلاما حسنا عن غيره . فتكلم به في موضعه ؛ وعلى وجهه ، فلا ترين عليه في ذلك صنوثة ، فانه من أعين عبي حفظ كلام المصنوب وهدى للاقتداء بالصالحين ووفى للاحد عن الحكماء . ولا ثنيه ألا يزداد — فقد بلغ الغاية .

ودخل غالب بن صعصعة على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أيام خلافته وغالب شيخ كبير ومعه ابنه همام "فرزق وهو غلام يومئذ . فقال له علي رضي الله عنه: من الشيخ ؟

قال : أنا غالب بن صعصعة : قال : ذوالالار الكثريرة ؟ قال نعم . قال : ما فعلت لهلك ؟ قال : زعزعتها الحقوق وأدهبتها الحملات والفتاوت . فان ذلك أمر سيئها من هذا الغلام معك ؟ قال : هذا ابني . قل ما اسمه . قال : همام وقد رويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له ، فكان الفرزدق بعد يري هذا الحديث ويقول : ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه

باعجبنا . ما كان أشبه حافظاً بالفرزدق وما كان أشبه الامام محمد عبده بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ولعل - يركلام يحتم به هذا البحث تلك الرسالة التي بعث بها الاستاد الامام إلى حافظ يشكك له تعريبه كتاب البؤساء وهي آية من البلاغة يندر وجود نظير لها في البيان العربي . قال الامام :

(رسالة الاستاذ الامام)

لو كان بي أن اشكرك لظن بالغت في تحسينه . أو احمدك لرأى لك فينا أبدعت في تزيينه . لكان لقلبي مضجع ان يدنو من الوداء ، بوجهه حقل . ويحرق في الشكر الى لعاية كما يصبه فصلك . لمكنك لم تقف يعرفك عندنا ، بل عمت به من حولنا وبسطته على القريب ولبعيد من ابناء لعنتنا ، زففت إلى أهل اللغة العربية ، عذراء من بنات الحكمة العربية ، سحرت قومها . وملككت فيهم يومها ، ولا تزال نفيه منهم حامدا . وتهز فيهم جامدا . تل لا تنفك تحي من قلوبهم مأماته القدوة ، وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة . حكمة افاضها الله على رجل منهم . فهدى الى التقاطها رجلا منا . فجردها من ثوبها العريب . وكساها حلة من نسج الأديب . وحلاها للناظر وحلاها للطالب . بعد ما اصلح من خلقها ، وزو من معارفها ، حتى طهرت بحبة الى القلوب ، شبة الى مؤانسة البصائر . نهش افهم ، وقبس للطف الذوق . وتساق الفسك الى مواطن لعن . فلا يكأ . يلحظها الوهم . إلا وهى من النفس في مكان الالهام .

حارب قوم من قبلك ان يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك . فوقف الحزب باعابهم عند مبتدأ الطريق ، ووصل منهم فريق الى ما يحب من مقصده . ولكنه لم يعن ان يعيد الى اللغة العربية ما فقدت من اساليبها . ويرد إليها ما سلبه المعتدون عليها ، من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه

أما أنت . فقد وفيت من ذلك ما لعاية لمريد بعده . ولا مطمع لطالب ان يبلغ صده . ولو كنت ممن يقول بالشامخ . لذهبت إلى أن روح ابن المقنع كات من طيبات الأرواح . فظهرت بك اليوم في صورة أبدع ، ومعنى أنفع

ولعلك قد شئت بطريقك في التعريب . سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ، وبحملها الزمان إلى أبناء ما يستقبل منه ، فتكون قد أحسنت إلى الأبناء كما أجملت في الصنع إلى الآباء ، وحكمت للغة العربية ألا يدخلها بعد من المحمة ، سوى ما هو في الأسماء . أسماء الأماكن والأشخاص . لا أسماء المعاني والأجناس ومثلى من يعرف قدر الاحسان إذا عم ، ويعنى فكان المعروف إذا شمد ، ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحبيت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تنظم البلادا
وما أعجز قلبي عن الشكر لك . وما أحزنك بأن ترضى من الوفاء باللقاء .

عبد الوهاب عفاي الخطيب
المدرس بالترية النسوية بالمتيرة

ابن المعتز والقمر

اقتباس من كتاب عبد الله بن المعتز

تحت الطبع

لعبير العزيز بن سير الأهل

عبد الله بن المعتز أشهر أبناء الخلفاء من بني هاشم ومن أروع أنشاء القرن الهجري الثالث ، تفرح لشعره يصنعه فتهف به ثلاثين عاما من عمر لم يعد خمسة وأربعين ، وأحسنى على الوصف والتمثيله الخفاء رجل رضى البال موفور النعمة محموم يتمق وقته كله هوا وتسلية ومباحاً وراء التمشيه بطرده ويتصيد ، والتشيه بخفض له رقابه ويمسكه من عنانه حتى علب عليه وصار جزءا من حياته الشعرية لا يتخلف ولا يتفصم عنها .

ومن أروع تشبيهاته تلك التشبيهات التي تضرب في إثر المرقى وتدور حوله تستقصى وضعه وترسم منظره في كل وضع ومن كل ناحية ، في إجادة وظرف وكلام بسيط يحيد في جسد ماهو بسيسه من الرشاقة والوضوح ولطف المزاج ورقة أولاد الملوكة .

ولعل القمر كان من أوفر مرثيات ابن المعتز حظا بشعره . وأظفرها بترقبه وترصده ، ولم يلحق به فيه شاعر من تعرضوا لوصف السوء كافة ، ونخص

منهم أعلام المتأخرين كابن الرومي وكشاجم والميكالي والعسكري والرواء وابن طياطبا .

وليس القمر أوحده ما تعرض له ابن المعتز من كواكب السماء ونجومها واستقصى اتجاهاته وأشكاله فشبّه به وشبه له ، فقد وصف كل ما يعرف من نجوم وشبه وكواكب . وفيها له تشبيهات مقطعة النظير وإنما عرضنا هنا لقدره على سبيل المثال .

وكم رأى ابن المعتز طلوع الشهر وهلال الهلال ولكن هلال العيد أدهت الأهلة للفرح والانشراح لما يحمد من بشرى الإفطار وتحليل الممنوع وإباحة المكروه وهو إن بحث الفرّح في قلوب الناس فبعثه للفرّح في قلوب الشعراء أكثر ، وفي قلب ابن المعتز الأمير أكثر من قلوب الشعراء ، فلا عرو أن همزة هلال شوال فهل ونهاقت على ذكر الشراب والدعوة له والزور والغير فقال :

أهلا بفطر قد أنار هلاله ألّان فاعند على الشراب وكبر

وانظر اليه كزورق من فصة قد أنقلته حولة من عنبر

أما في غير شوال فهو يبدو صغيرا ضئيلا ، ويبدو في عين ابن المعتز أصغر وأضال حين يكشف بصره وصحة ما يريد ابن المعتز أن يسبيل الظلام عليه أستاذنا حالكة فلا تنفذ اليه أين الرقباء . فيقول واصفا ضخامة إيدائه مع دوان شأنه . وجاءني في فيض اللين مستترا معجل الخطوة من خوف وهو حذر ولاح صوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر حتى إذا كان القمر ابن ليلتين صوره في قوله :

كانه ابن ليلته من سبده الدائم القديم

فخ بوسط السماء ملق ينتظر الضئيد - للنجوم
ثم يروح القمر نحو الكمال ويخلع على الدجا في الآفاق خلعاً من البياض وسرايل
من الهاء. ويخيل لشاعر أن النجوم تحفه اختفاء وهو يتقدم في مواكبتهم تمسكا
عزيزاً فيقول :

قر بدا لك مشرقاً في - ليله حصر الدجا أذباله عن ذيله
حلعت على الآفاق من أنواره جمع البياض فأومضت في ليله
وإذا تقدم في النجوم حسنته ملكاً تنبر مواكب من حوله
فإذا كان القمر في انمام وعض صوه جبينه من أضواء النجوم وراى وجهه صاحكا
في دجلة لراقصه المصطفقه حول سميريه ابن المعتز وهي تشق به صفحة الماء قال :
البدر يسحك وسط دجلة وجهه والماء يرقص حولنا ويصفق
فكانته فيها طراز مذهب وكانها فيه ردام أزرق
أو قال في ليلة من ليالى العرى :

ومصباحنا قمر منرى ككتيس النجوم يتس الدجا
وما أحمل أن يتفاس قرص البدر وفرص الشمس في صبح نصف شهر . ذلك
أنص ناصع يعيب وهذا أحمر ملتهب يشرى . وقد بات ابن المعتز طول ليلة النصف
سهران وما طمع عليه هذا المنظر وما يفارقه بعد حمار أصبح غنى يقول :

باليلة ما كان أطيبها سوى قصري المدى
أحييتها وأمتها وطويتها طي الردا
حتى رأيت الشمس ته لمو البدر في القى السما
فكانها وكأنه قد جان من خمر وما

ثم يروقه هذا المنظر فينحني عليه بصوره مرة أخرى في صورة نهار ذي يدين قد
أمسك بالشمس في يمينه ورفعها اعتزازاً بها أعوها ومال بالقمر في شماله يرميه
لرخصه وقلة منته فيقول :

نظرت في يوم لذة عجباً واقى به السعود مقدار
يقابل الشمس فيه بدر دجا يأخذ من نورها ويمتاز
كصيرى يروح متقدداً في كفه درهم ودينار

ويعود على القمر يشبهه بالدهرم قائلاً :

والدبر في أفق السماء كدهرم ملو على ديسانجه ورقاه
فإذا طلع القمر على السفح الآخذ لنسم القمى وسيله انقصار وانحدار إلى
الزوال لم يرفيه ابن المعتز من الخيال ما كان يراه في طغوسه وصباد واكتسار
شبابه فيعدله من تشبهات ما يشبهه وهو كوكب وهرم وهوف على اعزاء . ولقد
أرق الأمير ذات مرة حتى ظهر القمر في أحبات الليل فقال :

ما ذقت طعم النوم لو تدرى كأنما جنبي على حجر
في قمر مسترق نصفه كأنه مجرقة العطر

حتى إذا قرب القم من ليلى الخفاف ولم يصعب إلا والليل موشك على الزوال
ارتجز قائلاً :

إذا الهلال فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينته

كهامه الأسود ثابت خيته

ولقد يشبه ابن المعتز بالحلال فيجيد الصنعة أيضاً كقوله يمدح :

مر بنا تشرق الطريق به في قد غصن وحسن تمثال

نخلته والعيون تأخذ - من كل فج هلال شوال

وقوله يصف آخر وقد سلبت من دنها مائلة في قوس طرفه في فم الدن وطرفه الآخر في فم الكأس :

تخرج من دنها وقد حدث مثل هلال بدا بتقويس

وربما كانت الصنعة في هذه التشبيهات وغيرها والريضة عليها رياضة مقدرة في رسم الصورة والمطهر أكثر من أن تنطق فيها الروح وتتكلم ولكنه اتجاه شعري على كل حال وصنعة انفرد بها ابن المعتز فلم يلحق به لاحق ومن العجيب أن شعراءنا المعاصرين قد هجوا القمر لما يعين نسور الجو على العدوان في حربنا الضروس هذه . وكانوا يعدون ذلك ابتكارا جديدا لم يسبقوا به ولم يفتن له أحد قبلهم . ولكن ابن المعتز سبقهم الى هذه النعمة عليه حين كان يثير عليه بعوض بغداد التي شعل عنها بسر من رأى فقال :

وبات كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد

تعززه شررات البعوض في قمر مثل ظهر الجرذ

ثم يشتد حنقه على القمر فيجوه شاكيا متعللا ويتمنى لو نال منه تشبيهه ولكنه لا يستطيع أن ينال منه كما تحذر اليد لمس جلد الابرص اتقاء المرض وخيفة العدوى ، وما أجدد شكوى ابن المعتز من القمر أن تكون شكوانا منه فنقول كما يقول :

ياسارق الأنوار من شمس الضحا يامشكي طيب الكرى ومنغص

أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص

لم يظفر التشبيه منك بظائل متسلح بهقا كلون الابرص

وهكذا دانت صنعة تشبيه المرتضى لابن المعتز كما وأتاه الضيع ، فكان جديرا
بادعاء زعامته اذ قال : « إذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه فض الله في ، وقد أقره
يحترفو الصنعة من بعده على هذه الزعامة فقالوا » اذا رأيت كاف التشبيه في شعر
ابن المعتز فقد جاءك الحسن والاحسان ،

عبد العزيز سيد الأهل

شوقي وقوميته

المرستاد محمد أحمد الحرفي

- ١ -

أولع شوقي بالدستور . ودعا إليه مراراً في صراحة وحرارة . وجلى ميزاته ،
ووجه الشعب وجهة صالحة في اختيار نوابه ، وأوحى إلى النواب واجبه في
خدمة الوطن (١) .

ولهذا كان يحرص من أحلاف الأحزاب ويصمت إلى انشلافها وتناصرها .
لأنه مصرى أحب مصر ونفر بها ، ولأنه قومي ، مصر قبلته ، وخيرها وجهته :
وإني لغريد هدى البطاح تمذى جناها وسلساها
ترى مصر كعبة آمالها وكل معلقة قالها
أدار النسب إلى حبها وولى المدائح إجلالها
فلم يكن شوقي حزبياً بالمعنى الضيق الذى يغطى الفضل ، ويحدد الكفاية ،
ويمارى في كل نفع للوطن يحتضنه حزب آخر . بل كان قومياً يشيد بفضل المحسن من
أى حزب . ويأسى للسىء من أى فريق . ولذلك اتصل بهؤلاء وهؤلاء ، وراقه عمل
هنا فأطراه . وأعجبه عمل هناك فعوه به . ولم يمنعه ذلك من لوم من أثنى عليهم أو من
إذا ما تنكبوا الطريق .

وليس أدل على ذلك من أن خلاصاء كانوا إلى شيع مختلفة ، ومرائيه بالث ثرى
رجال من أحزاب متباينة ، ومنهم من فرق بينهم الصراع الحزبى ، وباعد بينهم
الملك ، لكن قبلتهم في نظر شوقي واحدة .

- ٢ -

ففي قصيدة (الأزهر) سنة ١٩٢٤ يبرح على الشفاق وما جنى ، فيذكر في
مراره وحسرة أن بعض المصريين شردوا عن الحق ، وتحملوا عن الجمع ، وكان
الاحرم والاكيس أن تقف مصر في صف واحد كالبنيان المرصوف ، كما وقفت
في الثورة الرائعة من قبل . وعندئذ ليعلم الحق الاعزل الباطل المدجج . يقول :

وتفتنوا المستور تحت طلاله كنمنا أفس من الرياض وأصرا
لأنحلوه هوى وبخلها ينسكم وبجر دنيا للنموس ومعتجرا
اليوم صرحت الامور فأطهرت ما كان من خدع السياسة مضرا
حظ رجونا الخير من إقباله عات المرق فيه حتى أدبرا

- ٣ -

وفي مشروع ٢٨ فبراير يلوم المتفخرون بما بدلوا من جهود وجهاد في القضية
الوطنية بالإن التماخر أثرة وأعداد بانفس وكبرياء ، ومن ورياء ، وشبه هؤلاء
يخنود في جيش مقاتل لمحو اوراق النصر فألقوا سلاحهم ، واستبقوا إلى العنائم
والمنازعة عليها ، فلا جرم أن يعذبوا ويقتلوا ، كما حدث للمسلمين في غروة أحد إذ
خالفوا النبي ﷺ ، وتركوا أما كتبهم وجروا إلى العنائم ، ففشلوا من هوا ، وعلى
المجاهدين أن يدعوا تقدير جهادهم للتاريخ .

ضموا الجهود وخلوها منسكة لأنملوا الشدق من تعرضها عجبا
أفى الوغى ورحى الهيجا دائرة نحصون من مات أو تخسئون سلبا
خلو الاكليل للتاريخ إن له بدا تؤمها درا ومحشبا (١)
أمر الرجال إليه لا الى نفر من بينكم سبق الانبياء والكتبا
أمل على الهوى والحق قد فاندفعت بداه ترتحلان المساء والديبا

إذا رأيت الهوى في أمة حكما فاحكم هنالك أن العقل قد ذهب

- ٤ -

ويظهر أن العروة في سنة ١٩٢٤ كانت ذات وخز أليم لشوقي . فقد عرض لها مرة ثانية في قصيدته (شهيد الحق) بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم المغفور له مصطفى كامل باشا . وتناول ما أصاب مصر من انقسام ، جرح اليها الضعف والضرر ، وبسبب فاقة لما تستقر ، ونصفها الجنوبي (سودانها) انقطع منها أو كاد ، وفار الفرقة التي توارثها الأحزاب تحرق مصر ، والمتنازعون الذين يترشقون ويترامون إنما يصمون أسمهم . ويرمون وطنهم ، واحسرة تملأ نفس الشاعر على أنهم تعادوا بعد صماء ، واختلوا بعد ولاء ، وقد يستحيل التوفيق بينهم بعدما استشرى بينهم الداء كالسرطان حار في شعائره الاطباء .

إلام الحام يبنكو إلاما وهذي الضحة الكبرى علاما
وهم يكيده بعض وتبدون العداوة والخصاما ؟
وأين الفوز ؟ لاهصر استقرت على حال ، ولا السودان داما
شبيتم يبنكو في القطر نارا على محضه كانت سلايا
إذا ماراضها بالعقل قوم أجدها هوى قوم ضراما
تراميتم فقال الناس قوم إلى الخذلان امرهم ترامي
وكانت مصر أول من اصبتم فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء احلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وجند كانياب النضفر لن يراما
تباشيتم كانسكا خلایا من السرطان لاتجد الضامما

- ٥ -

وليس ادل على فرحته باتحاد كلمتها ، وتوحيد وجهتها من قصيدته (المؤتمر)

التي قالها في المؤتمر السياسي الذي اجتمعت فيه كلمة الأحزاب على إنقاذ الدستور
برئاسة الزعيم المغفور له سعد باشا سنة ١٩٢٦ في دار المغفور له محمود باشا سليمان
في هذه القصيدة حيا الحرية وشهداءها في أبيات روائع ثم ازدف البشري إلى مصر
بائتلاف أحزابها ، وانها لبشري تهتز لها مصر كلها حتى نباتها ، ويتجدد لها نشاطها
وتجمل حياتها ، كأنها الربيع ، وكيف لا تهتز مصر وقد تصافي زعمائها وتصلحت
أقلام كتابها ، ومحا الوداد والصفاء ضغائن الصدور ، وقد قل المجتمعون من السياسيين
عبارات العتيبي ، وتنقلوا بها حول الموائد ، وترقى في نظراتهم البشر ، فأبنا
جلت بعينك لا ترى إلا عناية أو مصالحة ، وإنما طرب شوقي لهذا الاتحاد لأنه جمع
رجال الأمة لتتفع بخصائصهم وميزاتهم المتنوعة ، فصبهم الجري الصريح ، وفيهم
السياسي الماكر ، وربما ينجح الدهاء حيث تحلق الصراحة ، ولقد اتحدوا ليعيدوا
الدستور المعطل ، والامم في هذا العصر تشيد ملكها على دعائم من الدستور وقوى
الرأى العام والديمقراطية لا على الاتبداد والبطش ، السيف والرمح ، ثم سما
شوقي وحلق حيث قرر أن جلال التيجان وجمالها ليس بنوادير الماس ، وكرائه الدر
وروائع الجوهر ، وإنما جلاله بجواهر الدستور ، فيها أروع وأبقى وأجمل ، ولا عجب
في تقريره هذا عن الدستور فله فيه آيات بينات .

شري الى الوادي تهز	نباته	هز الربيع مناكب الأدواح
تسرى ملحة الحجلول على الربا		وتسيل غرتها بكل بصاح
التامت الاحزاب بعد تصدع		وتصافت الاقلام بعد تلاح
سحبت على الاحقاد أذيال الهوى		ومشى على الصغن الوداد الماخي
ترمي بطرفك في المجامع لا ترى		غير التعانق واشتباك الراح
الله الف للبلاد صدورها		من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة		أعلام مؤتمر أسود صباح

يبنون بالدستور حائط ملكهم لا بالصفاح ولا على الارماح
 وجواهر النيجان مالم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح
 ولا يهوتنا ونحن نقف من هذه القصيدة أن نقف عند وصفه الرائع البارع
 شمس النهار تعنى الميزان من سعد الديار وشيخها النصاح
 ملى افطاريه فى الذرى كأنه عثمان عن أم الكتاب يلاحى
 كما تاح تضجبه وتاج كرامة للمعين حول جبينه اللامح
 وشيت منشور كنور الحق من فوديه أو جر الهدى المنصاح
 لى أذان الصلح أول قائم والصلح خمس قواعد الإصلاح
 ثم عند هذين البيتين اللذين يصور فيهما آثار الائتلاف :

شئ فضائل فى الرجال كأنها شئ سلاح من قنا وصفاح
 فإذا هى اجتمعت ملئت جبهة كانت حصون مناعة ونطاح
 ثم ينصح الشباب ، ويبين لهم جدوى الاتحاد وجريرة التفرقة . فصر المتحدة
 صخرة ترتطم بها الحادثات فترتد وتكسر . ومصر المفارقة مرضوضة . مصدوعة
 القوى تغلب وتفهر . يجترى عليها الدين لأم لم ولا نهى . وان صيحتها وهى متجدة
 لوقير يرعب . وصوتها وهى على فرقة بعض نباح لا يرهى ولا يفضب .

أنتم نوا اليوم العصيب نشأتمو فى قصف أنواء وعصف رياح
 ورأيتمو الوطن المؤلف صحرة فى الحادثات وسيلها المجتاح
 وشهدتمو صدى الصفوف وماجنى من أمر مفتات ونهى وقاح
 صوت الشعوب من الزئير بجعا فإذا تفرق كان بعض نباح

— ٦ —

وفى فبراير سنة ١٩٢٦ احتفل بذكرى مصطفى كامل ، وأقيمت فى الحفل قصيدة
 لشوقي ناجى فيها مصطفى فزف اليه البشرى بأن الأمة موحدة الرأى بعد الفرقة .

ملومة الشمل بعد الصدع ، وحدا لم يفتها واستغافت من الحذر وختل العدو والمعتصب .
وجهتها الاستقلال وحده يحرسه الجميع كما تحرس النحل خليتها ، وذكر المؤتمر
ثانية وأن العقلاء تتحد أهدافهم وأساليبهم ، وأن مصر بعد الاتحاد ليث يحصى
عريته .

مثل ملومة الصخر	قم تر القوم ككتلة
والإخاء الذى شطر	جددوا ألفة الهوى
أو لاسبابه أثر	ليس للخلف بينهم
غاديات من الفير	ألفتهم روائح
وأفاقوا من الحذر	وصحوا من منوم
ماهم غيره وطر	أقبلوا نحو حقهم
شرعوا دونها الأبر	جعلوه خلية
وتداعوا لمؤتمر	وتواصوا بخطة
يتلاقون فى الفكر	وقصارى أولى النهى
من جلال ومن خطر	آذفونا بموقف
دون آجابه زار	تسمع الليث عنده
مصر بالباب تنتظر	قل لهم فى نديهم

• اصمحر محمد الحوفى

المدرس بالسعيدية الثانوية

الجاه المستعار

الفصل الثالث

حجرة يوم متواضعة لها سرير قديم وأثاث بال خميس يعط في نومه ويهذى وهو نائم .

خميس - في النوم - من هو هذا الآخرق السخيف ؟ هل هو إلا خادم نظيف ؟
ثم بعد فترة جروا الفتى حروه من أقدامه وطهروا الديوان من آثامه
أقد تخلى عنه من يحبه غيبة الله على أبيه
ثم بعد فترة خميس لا ساحك الرحمن أبعد شبي هكذا أمان
أخذت ما استحق من حسابي ثم طردت خارج الأبواب
(عصام يدخل فيوقفه)

عصام خميس أفق قد أطلت الرقاد
خميس نعم
عصام قم أما حان وقت القيام ؟
خميس - وهو يصحو - ما أصبحو سريعاً

عصام أما زلت تهذى وتكثر عند الرقاد الكلام ؟
كان بفيك جهازاً يذيع وهذا الجهاز بغير صمام
خميس - في توجع أحقا تقول ؟ أتسخر مني ؟ رويداً أطلت على الملام
ومن لي عند الكرى بالهدوء كان الهدوء على حرام
إذا أنا رمت الهجوع أغار على من الفكر جيش لمام
وأغرقني مضجعي في هموم تهد القوى وتحز العظام
وقامت تحاربي الذكريات بسن القناة وخذ الحسام

وما الفكر والهم والذكريات لعمرك إلا جنود الظلام
أحاول صيد الكرى بالشياك فينفر منى نثار الحمام
فإن صدته بشباك الجفون رمتنى الرؤى بالخطوب الجسام
فطورا أنا فى أعلى الجبال وطورا أنا تحت طى الرغام
تنبه بعد الرقاد ضميرى بخرم عيني طيب المنام
واعمل إبرته فى فؤادى ووخر الضمير كوخز السهام
فما غمض جفنى الا غرار ولا نوم عيني إلا لمام
ساح كفكف من هذه العبرات حيلة العاجزين بث الشكاة
أنت عاهدتني فلا تنقص العم د على الصبر يا أخى والثبات
لك مستقبل يناديك حلو بأهم الثمر ساحر الثبرات
فادفن الماضى البغيض بحب غائر والتفت لما هو آت
أزف الوقت يا صديقى وحانت ساعة الدرس هات كتبك هات
قد دنا الامتحان والجود كل م الجود فى أن نضن بالالوقات
آه يا صاح زدت فى أشجائى وأثرت الكمين من أحزاني
قد دنا الامتحان حقا ولكن ليس لى قط بالرسوم يدان
أولم تدر أنهم منذ حين هددوني بالطرد والحرمان؟
استدنا فى أول العام نجما وعجزنا أن نستدين الثانى
لم يوفق أبى ولم يأل جهدا لهف نفسى على أبى كم يعانى؟
كم أراه معذبا فى سبيلى يحمل العبء وهو شيخ فان ؟
لهف نفسى على أبى كم يقاسى حرم الشيخ نفسه وكفانى
وطوى بطنه ووفر فوقى وتعمى من ثوبه وكسا
قل لى على ذكر أليك أهولا زال كما عهدته معطلا؟

عصام

حميس :

عصام

خميس ما زال عاطلا من الأعمال
يقول : عفت خدمة الرجال
كم مؤسر ذي ضيعة قد عرضا
على أبي ضيعته فما ارتضى
عصام وما الذى نوى أبوك ياترى ؟
حميس لقد نوى المسكين أن يستأجرا
مزرعة فى بعض أنحاء القرى
يعمل فيها باسمه محررا
ويرزق التوفيق والسدادا
عصام أرجو له أن يبلغ المراد
ما دمت تتوى يا أخى الإقامة
فلا نصرف
خميس تصحبك السلامة

ثم لنفسه بعد انصراف عصام

مهموم تؤرق جفن الليالى
وتعيا بها راسيات الجبال
ولكنها ما ألانت فتانى
ولا ضاق صدرى بها واحتمال
لقد صقلت معدنى الحادثات
وما فضل سيف بغير صفال ؟
تولى زمان الغرور . ألا لا
رعى الله تلك السنين الخوالى
كأنى أنشئت خلقا جديدا
جديد السيات جديد الخلال
سلكت طريق الهوان وكنت
أظن الطريق طريق المعالى
ضللت السعادة ثم اهتديت
إلى وكرها بعد طول الضلال
فلن أسأل الدهر قيل مرادى
ولكن سأأخذه بالنضال
ولن ألبس المجد ما لم تحك
يميقى سرباله وشمالى
ومن يطلب المجد عفوا كن
يحاول فى البر صيد اللآلى
إذا قيل هذا محال أجبت
أنا لست أهرق معنى المحال
جهلت لعمري معنى الإباء
وما جهلته ذوات الحجال

فلا يبيغ وصل الفواني ذليل
ولسن يردن مهورا غلت
فهن يرمن كرام للرجال
ولكن يردن النفوس الفواني
و يستمرض صورة الفتاة

يعاودنى من سعاد خيال
ترى نبذتنى الفتاة لأجل
فيا لشقائى بهذا الخيال
هوانى أم أسرفت فى الدلال ؟
لقد كنت صبا بجاء أيها
فصرت أقدسها لاشئ
وما علم المرء مثل الليالى
أضنى أباك السعى وانتعل الدما
جمعة - يدخل - أبشر خميس بكل يسر بعدما
مال كثير

خميس فى غبطة - لا عدمتك لى أبا
شهما أبر ولا عدمتك لى حى
من ابن جئت به ؟

جمعة
بربك لا تسأل
ماذا يصيرك أنت ألا تعلما ؟
من أشرف الأبواب جئت به ولا
إنى رأيتك يابنى موقفا
فأسلك طريقك يابنى فرجما
وأنا الكفيل بكل ماتبقى ولو
نفسى فداؤك مات كفك هاتها
خميس - يقبل يده -
من أين هذا المال ؟ تقبى يابنى
أنا لست أخنى عنك سرا ياقى
جمعة
بالأمس بعت مصاغ أملك
لكن أخاف عليك أن تتألما

خميس - فى حيرة - بعته ؟
يا للفضاعة كم جنيت عليكما
جمعة
لم نجن إنما يابنى وإنما
حطمت عن قدى أيك وثاقه
نحيت طوقا حول جيدي محكا
ولكم سألت الله أن يتحطيا

أبني قد عفت القصور وعيشها ولو أنها انفصلت بأسباب السما
ما عدت أقبل من كبير نعمة حاشى أرضى غير ربى منها
ويح ابن آدم يشترك بماله إن كان يوليك الجليل . وقلا
إن القذى ليصيب عيني كلما رأت ابن آدم في أخيه تحكما
خل القصور لأهلها إني أرى في جوها شبح الهوان جسما
لا بارك الرحمن قصرا شاعنا عشنا به مثل القطيع مسوما
الطفل ذو أمر هناك نافذ والبتت تحكم فيه حكما مبرما
ونسأوه بأمرن قبل رجاله فطبيع عبدانا . ونسمع خدما
ظهرى انحنى من طول ما فوسته عند الدخول أو الخروج مسلما
ويحى الأجل ما الحياة وكسبها منذ الصبا حتى أشيب وأهرما ؟
طمأنت قلبي لا عدمتك يا أبى إني حسبك حافقا متبرما
فيم التبرم ؟ إنها حرية ردت إلى شيخ وهى وتهدما
أحسست فى رقتى بزد نسيما لله ما أحلاه حين نفما
جو طليق طهرت أنفاسه جسما وبمكروب الهوان تسما
دعنى بهذا الكوخ حرا مطلقا أشكو الطوى فيه واحتمل الظما
دعنى بهذا الكوخ أمضغ حنظلا دعنى بهذا الكوخ أشرب علقما
هذا شعورى لا عدمتك يا أبى قد كنت عما فى الضمير مترجما
خميس
جمعة
جمعة . يناوله النقود

هذى رسومك يا بنى فأدها أقسمت ما سوفت إلا مرغما

هنا يدخل صاحب المنزل فى هيئة رجل خشن من أولاد البلد

صاحب المنزل - بعد دق الباب

يا أهل هذا المنزل المعمور هل تسكنون هنا بغير أجور ؟
يا بن الكرام ألا تن بمهلة حتى يمن الله بالتيسير
صاحب المنزل لو كان شهر واحد أمهلتكم لكن بدمتكم أجور شهر
جمعة

خميس صبرا أبي حتى يزاول والدى أعماله لم يبق غير يسير
صاحب المنزل حتام أصبر؟ إن صبرى قنوهى لا عذر بعد اليوم فى التأخير
جمعة عذرا بربك إن طلبنا مهلة
صاحب المنزل كلا لعمري لست بالمعذور

خميس أف لتلك الدار

صاحب المنزل أف مالها ؟ دارى وبتحت الربع، زين الدور
من كان مثلك فى جلالة شأنه لم يأو غير حدائق وقصور
أين الأثاث؟ لقد نظرت فارات عيناى غير سريرك المكسور
سكان هذا البيت كل أئامه يا للرجال لمنزل مهجور

خميس — يتأوله فقودا — خذ وانصرف

صاحب البيت — وهو منصرف :

شكرا فإن عذتم نعد بالحجز والانداز والتشهير
عجبنى على شيخ مسن يدعى فقراً شديدا وهو غير فقير
ثم يلقى الباب صبي البقال

الصبي يأهل هذا البيت . بيت خال مافيه من أحد يحجب سؤال
جمعة من أنت من ؟

الصبي — فى تهكم :

أنا لست أدرى من أنا أنسىنى ؟ إلى قى البقال
جمعة ماذا تريد ؟

الصبي لقد أتيت مسامرا أين الحساب ؟ أريد فى الحال
جمعة بالله أمهلنا قليلا يا قى

الصبي ما بعد هذا اليوم من إمهال

حاتم أغشى كل يوم يتكم وأظل فيه معطلا أعمالى ؟
إن قبضت عليكم لا تختفوا أو تدعوا فقراً ورقة حال

خميس سفسد دينك عن قريب جملة
الصبي - في تعوج: لا بل تقسطه على أجيال

أقسمت لست يبارح من هاهنا حتى تسد الدين بالثقال
لا تحسبوا الزينون يفت عندنا واجهين بين ثمن البضاعة غال

خميس خذ وانصرف

الصبي - وهو منصرف:

فيم المطال عدمتكم وجيوبكم تكتظ بالأموال؟

ثم يدق القصاب الباب

القصاب يأهل هذا البيت

جمعة من بالباب؟

القصاب صب يريد زيارة الأحباب

من أكلون اللحم أكلنا ثم لا تنكروا من دمع أي حساب؟

يأبها القوم استنحوا ثم استنحوا سدها حساب اللحم للقصاب

جمعة إنا لفي فقر وحقك بالغ

القصاب من علم الفقراء أكل كبابي؟

القول يصلح وحده أمعاءكم و صوم شأن العابد الاواب

خميس - في تأفف: لم يبق إلا أنت جئت تبهتنا

القصاب - في تحد: إلا أنا. هل تزدرون جنابي؟

جبي بأنواع الدراهم عامر إن كان شكلي مزرياً وثيابي

قوموا سلوا الاسوق عي كلها أ. عنتر "عبدى ليث العاب

يخرج مديته - أو ما رأيتم مديتي مسلولة كالسيف في يد فارس وثاب؟

خميس خذ وانصرف

القصاب - وهو منصرف:

أقسمت لو لم يدفعوا لطحنهم طحن الدقيق بناتي

يسمع خارج المسرح نشيد . معهدى . بـتلة الأولاد وهم ذاهبون إلى
مدارسهم .

معهدى معهدى - كم له من يد
كل يوم إلى بابه أغتدى
عليه وحده عدت في غدى
دمت يامعهدى صافى المورد
أنت نجم به للعلا أهتدى
أنا في ظلك جتدى . أنا جتدى أمين
رائدى عزى ومجدى أبتنيه باليمين

تكرر مرتين

• • •

معهدى قبلت حبه تيمنى
داره منزلى أوصه منينى
معهدى أهله كلهم أسرقى
دمت يامعهدى صافى المورد
أنت نجم به للعلا أهتدى
دمت للعلم وداما لك راعيك الهام
فيك حيث النظام والمرتين الكرام

تكرر مرتين

نخيس - فى تحسر :

هتف الصغار مرتلين نشيدهم أحبب به فى مسمعى نشيدا
حيوا مدارسهم فكاد القلب من طرب بردد لحنهم ترديدا
دهبوا اليها شاعرين بغبطة وبقيت وحدى فى الديار فعيذا

أبتاه برح بي الحنين لمعهدي أين التفود ؟ تبعثرت من راحتي
 أظل عن أبوابه مطرودا لم يبق فيها الا شقياء نقودا
 سميت وكان ختامها محمدا أبنى لا تجزع قرب ملسة
 ساريه أن أباك أصلب عودا فليحمل الدهر الخثون بخيله
 ثبت الجنان لدى الخطوب جليدا بالله كن كأيك في إيمانه
 بالنصر . يوم النصر ليس بعيدا ما دمت ذا عزم وتصميم فتق
 ليس المحارب فارسا صنديدا الفارس الصنديد من لا يشتكي
 هيات أن يحيا القنوط سعيدا خل القنوط إذا أردت سعادة
 ومضى أعود إلى الدراسة ؟

جمعة

خميس

جمعة

سأبيع بعض متاعنا لتعودا في غد

خميس - في حصرة -

أتبيع يا أبت المتاع ؟

فاذا تيسرت اشتريت جديدا

جمعة - في حامة . أبيع

أفلا ترى ثمن الرجاء زهيدا ؟

هينا اشترينا بالمتاع رجاءنا

فوق غطاء واقترشت صعيدا

سأبيعه ولو اتخذت النجم من

خميس - في لوعة

النصر ليس بمستطاع

يا للهوان والانتضاع

كبيدي بأنياب السباع

يا لوعة عضت على

ين ويلا أطفال بجاع

يا للآب الباكي الحز

غ مصاع والدق يباع

أو ما كفى أن المصا

ة أبي يساوم في المتاع

حتى أشاهد في الغدا

- ثم يعيش عليه -

جمعة - الخميس في غشيته -

خميس خميس أفق يا بنيا ولا تحمل الهم ما دمت حيا

خميس - في غشيته

من هو هذا الاخرق السخيف ؟ هل هو إلا خادم نظيف ؟

جمعة - يرقيه -

باسم الاله الحافظ الجبار خالق كل مارد من نار

أسألك اللهم بالكتاب وحرمة الاربعة الاقطاب

ستار

الفصل الرابع

يقع بعد حوادث الفصل الثالث بنحو عشر سنين . على الحائط نتيجة تبين
يوما من أيام سنة ١٩٤٠ . المنظر هو في مستشفى حصوصي . الممرضون وقوف
يرتلون هذا النشيد .

المرضى	}	حلقنا جنود الحرب السقام	نمد على الارض ظل الامان
يكرد في آخر النشيد		نرف عليها رفيف احام	ونسكب فيها معين الحنان

* * *

ههوا هدوا جنود النحاة تخفف في الارض وقع الحن
نحقق في الارض معنى الحياة ونرفع فيها لواء الوطن

* * *

وهل نحن الادواء الجريح وهل نحن الاشفاء السقيم
وهل نحن الايجن الصحيح ومان الفقير وأهل اليتيم

* * *

إذ أن شاك شققنا السيل إليه وجنتا نلبى النداء
كأننا على رأس كل عليل ملائكة أرسلتها السماء

* * *

على الرحب ينزل راجي الشفاء هنا يستريح صريع الكروب
بداويه بالعطف قبل الدواء وخير الدواء ين عطف القلوب

* * *

نسل من العلم أقوى للاح على مفرق الداه حين يصيب
فتنعم الجنود ونعم الكفاح ونعم الطبيب وعون الطبيب

عثمان (الممرض الأول) يأتيها الممرضون انصرفوا

ها بنا ها بنا

الممرضون

لا تنفخوا

مساعد الممرض الأول

ها احملاوا أجهزة الحرارة

الان حلت ساعة الزيارة

عثمان (وهم

ثم احملاوا الفطور والدواء

وجددوا في الغرف الهواء

خارجون)

جسوا لهم قبل الفطور النبضا

لبوا على الفور دعاء المرضى

فمجلوا

سيحضر الطبيب بعد ساعة

سمعا وألف طاعة

الممرضون

المساعد (بعد انصراف الممرضين) الحق أن عندنا دكتورا ،

لا يغفر السهو ولا التقصيرا

تركت شعر دقته طويلا

أبصر ذات مرة عيلا

عثمان

يقدر ما في دقته من شعر (ضحك)

فقص من راتب هذا الشهير

المساعد

لم أحضر الدواء في الألوان

أما سمعت عنه إذ رآني

فكاد أن يفقدني انزاني

وما تأخرت سوى ثوان

بكفه وصوتها الرنان (ضحك)

كلما في صفاته ورقته

لكن قلبه برغم شدته

عثمان

أشفق من أم على أولاد

وهو على المرضى من العباد

المساعد

من غير شك سبب النجاح

نعم وهذا كله يا صاح

عثمان

من دون أن يقبل منه كشفا

كم عالج المريض في المستشفى

المساعد

وكل ما جلد به كفاه

إن جلده ذو علة داواه

عثمان

وإن يكن ذا فاقة أعفاه

المساعد

وربما بماله واساه

عثمان

وكيف صارت قبلة الانظار

أما ترى شهرة تلك الدار

المساعد

ومقصد العلية والحكبار ؟

عثمان (في تهكم) ونحن مثل الفلك الدوار

نعمل بالليل وبالنهـار (ضحك)

المساعد متى عرفت حضرة الطبيب ؟

عثمان منذ زمان ليس بالقريب

من عشرة خلت وكان كاتباً وكنت في الصحة معه حاجباً

لكنه كان قتي مشاغباً ثم استحال بعد ذاك طالباً

على علومه مكباً دائماً يكاد أن يساهر الكواكباً

حتى إذا ما أحرز الشهادة قام يدير هذه العبادة

فضاعفت شهرته إرادته

المساعد سعادة ما بعدها سعادة

عثمان وثروة ما فوقها زيادة

المساعد لكنني أشعر منذ حين بأنه مقطب الجبين

أشبه بالمكتتب الحزين

عثمان إني من هذا على يقين

المساعد ماسر هذا المسلك العجيب

عثمان (في شبه همس) قش عن المرأة يا حبيبي

المساعد (في دهشة) أية امرأة ؟ ابن

عثمان سعاد

المساعد من هي من ؟ لم أدر ما المراد

عثمان هل تعرف الباشا الذي غرفته في الطابق العلوى ؟ تلك ابنته

المساعد لله در شعرها ما أبدعه !

عثمان إن لها يا صاح قصة معه

المساعد من أجل هذا كلما مرت به زاد خفوق قلبها وقلبه

عثمان	كلاهما يرنو إلى أخيه	بمقلة تفضح ما يخفيه
المساعد	إذا أتت أتبعها الانظارا	وزاد لون وجهه احمرارا
عثمان	وهي لذلك تكثر الزيارة	سائمة بنفسها السيارة
المساعد		وذو الحجا يفهم بالاشارة (ضحك)
خميس (يدخل)	عثمان كيف الحال ؟	
عثمان	في أمان	الكل يامولاي في اطلتان
خميس	هل طفت يا عثمان بالاسرة ؟	
عثمان		كل دقيقة أطوف مرة
خميس	أما شكنا من ألم عليل ؟	
عثمان		لم يشك منهم أحد
خميس		جميل
	هنا يدخل مريض يمسك بطنه بيديه	
المريض	أواه من بطني ومن أمعاني	إني أحس النار في أحشائي
	جسمي طحال كبدي أعصابي	جميعها تشعر باضطراب
	هل أنا حي بينكم أم ميت	
خميس (وهو يفحصه)	أنت بخير	
المريض		لا أنا انتهيت
خميس	أين مكان الوجع ؟	
المريض (مشيرا إلى جنبه الايمن)		النار تحت أصبعي
	النجدة النجدة وبأدكتور	هنا هنا نار هنا تنور
	لقد وهي عزمي وببح صوتي	بالله أنقذني ولو بالموت
خميس (مستمر في فحصه)	نبض القتي طبيعي	وليس بالسريع
	لكنه في خطر	من التهاب الأعور
عثمان	إذن فلن بذوق طعم الراحة	حتى يزور غرفة الجراحة

خميس (عثمان والمساعد) تعاليا به معى وأحضرا لى مبضى
يدخل الجميع ثم يظهر فكرى على المسرح من باب آخر وهو فى نوبة سعال حاد

فكرى أوام من طول النضال بينى وبينك يا سعال

حسام تقلق مضجى ؟ لم نبق فى سوى خيال

ضيف على صدرى الضعيف ف حملته حمل الجبال

فتقطعت أوتار صوتى منه تقطيع الجبال

أصبحت أوىء بالمقا ل فلا يطاوعنى المقال

حلقتى به جرح بعيد د الغور ليس له اندمال

عنتى إذا رمت التنف س كان مشدود العقال

رتى كأن أدبها كرة تمرقها النبال

وكان صدرى قد من ورق عتيق النسيج بال

وكان أضلاعى تصف ق باليمن وبالشمال

من مسعق ؟ من منقذى من ذلك الداء العضال ؟

أهلا وسهلا بالرئيس فكرى من أى شيء تشتكى ؟

من صدرى

عثمان (يدخل)

فكرى

قم ناد مولاك خميسا ناده فالعطف كل العطف فى فؤاده

إنى أكلت سابقا من زاده والحر لا ينفك عن وداده

مهبات يقسى الحرف فى أعياده من شاطر وه الحزن فى حداده

مرحبا

خميس (يدخل)

أهلا وسهلا

فكرى

مرحبا يا قديم الود يا خدن الصبا

خميس

أزائر أنت أم عليل ؟

لى قصة شرحها يطول

فكرى

لقد برانى السعال حتى بدا على جسمى التحول

هل أنت بالبره لى كفيف ؟

لا تترعج ربك الكفيف

خميس

خميس - ثم ها هنا

ثم يفحصه ويقول . حرارة مرتفعة قلب ضعيف بنية مضعضة

إن لديك ذبحة صدرية مصحوبة بنزلة شعبية

فكرى - منزعا قل لي أحانت ساعة المنية ؟ إذن فدعني أكتب الوصية

قد انتهت حياتي الشقية الله للزوجة والذرية

خميس لا تنزعج كن مطمئن البال

فكرى لقد قطعت يا أخى آمالى

خميس يقدم ورقة خذ جرعة من ذلك الدواء فى كل ليلة مع العشاء

وجرعة أخرى مع الفطور وصم عن اللحمه والطيور

فكرى طيور؟ ومن لي بطيف الطيور؟ وحقق ما ذقتها من إشهور

خميس عشر سنين قد مضت يا فكرى ولم تول تشكو اشتداد الفقر؟

فكرى وسوف أشتكى طول عمرى من يشكى يا خميس غيرى؟

خميس أفل تنل شيئا من الدرجات؟

فكرى ما نلت غير ابن وتسع بنات

خميس ماذا تقول يا أخى لا تمزح لست هنا مثلا فى مسرح

فكرى بالله دعنى يا خميس وما بي قد مزق الديوان برد شباني

أو ما رأيت الشيب يعلو مفرقى؟ ورأيت رأى أبيض الجلباب؟

لا بارك الله الوظيفة إنها هدت قواى وحطمت أعصابى

غطت على عيني فكادت لا ترى وجه الثرى إلا باصطربلاب

لقد اشتريتني كالرقيق فما وفى بمن الشراء بمطعمى وشراي

خدعت ثيابى الناظرين ولما تى لم أنقد البراز أجبر ثيابى

لى كل شهر وقفة مشهودة إن حل شهر حل يوم حساني

وتنازعنى زوجتى وصغارها واصطف جيش الدائنير بياب

كم زمت نعي الشهر ساعة وضعه وذهاب شهرى مؤذن بذهابى

رحماك قوس المكاتب صعدتى فمشيت فى حطو الجواد الكاني

أقضى نهارى غارقا فى مكتب فاصت به الاوراق ويض عباب

أقصى النهار على الدفاتر عاكداً
ولقلاً ولى نهاري هادئاً
كعداء الأور في المحراب
فسلمت من لفت أو استجواب
لله آمال هناك دفتها
ما كانت الآمال غير مراب

تأخذه نوبة سعال

خميس هون عليك ولا تفزعك الله
فكرى دعنى أجاهر بالشكوى وأعلنها
ذكرتني ما صافا كدت أنساه
أواه بما أفسى ثم أواه
أشكر الجنت وأعرف من ممتة
طه من حصه بالسعد مولاة
ما كان عيدك إلا يوم فرقنا
و هو من أحسن ذم ما به كراه

وكيف حال خليل؟ لم يزل مرحاً

لك البقاء فسهم الموت أراده

يا للمصاب متى

من مدة سلفت

أما قرأت ببعض الصحف منعاها؟

وكيف مات؟

شهيذا إن واجبه
مضى يطهر داراً أهلها مرضوا
جنى عليه فأمسى من محاياها
باسل سنان المسكين عدواها

هل كان أنجب؟

لم ينجب سوى ولد
أزرى به اليم لاما ولا جاه
الابنال معاشاً؟

بل مكافأة
تبخرت كالندى من كف حاضته
مرت كطيف خيال عند مسراه
فبات كالطير مقصوفاً جناحاه

خميس - لنفسه: لا يعرف الفقر إلا من تذوقه
ثم لفكرى: يا للزمانة أين الطفل أحضنه؟
أواه من جمره كم بت أصلاه
قل لى بربك قل لى أين مأواه؟
عهد على أمام الله أقطعه
أنى له والد ما عشت أراعاه

فكرى بصوت مرتفع :

لله در طبيب فاض نائله تعالج النفس قبل الجسم بمناه
الخير في الناس ما غاضت منابه من يفعل الخير عند الله يلقاه

ثم تعثر به نوبة سعال حادة

فكرى أواه من طول النضال ينى وبينك يا سعال
حمير لاني أراك متعبا يا صاح لا تعرض قط للرياح
فلتبقي في عيادتي يا فكرى كي تضمن الشفاء

فكرى ألف شكر

حمير لا تسكلم يا أخى كثيراً عثمان قم أعدده سريرا
أو ابق أنت هاهنا حتى أعدده أنا

يدخل خميس وفكرى ثم يخرج الباشا من باب المستشفى في ثياب المرضى

الباشا الحمد ثم الحمد للرحمن ذى الفضل والمنة والاحسان

الحمد لله الذى عافانى ومن محالب الردى نجان

عثمان قد أكل الباشا هنا أيامه دامت له الصحة والسلامة

أظنه قد سئم الإقامة

الباشا أقمت شهرا داخل العيادة فهل تريد فوقها زيادة ؟

ثم يتفحه بنقود ثم يتأجج نفسه :

شهر تولى وقبل الشهر عامان لم ينطبق لى عند النوم جفنان

أشك من الداء لأدري بموضعه كأنما هو سر طى جثماني

فلا طبيب أزاح السترة عن مرضي ولا دواء به استشفيت أجدا نى

لولا خميس أقال الله عثرته ما بات جسنى إلا طى أكفاني

خميس (يخرج) استغفر الله لولا رحمة سبقت من عند رب خفى اللطاف منان

قل لى فديتك ماذا تبغى ثمنا ؟ وما صنعك مقدور بأثمان

خميس .. محتدا ويحيى بربك ما تقنى ؟ أتتقدنى مالا ؟ لعمرى لقد أصغرت من شأنى

شلت يدي إن قبلت المال من رجل
 الباشا متأثراً يا محكم الطعنة النجلاء حسبك قد
 ويحي طردت الفتي بالأمس مفترياً
 ما كان أسوأني فعلاً وأكرمه
 خميس استغفر الله كم أسلفت عارفة
 إن كنت أقصيتني يوماً فلا جرم
 قد كان ذلك من حمقى ومن نزقى
 لم تجن لابل بعثت الروح في جسدي
 فإن يكن لك عندي فضل ترفيقي
 الباشا لله درك ما أسماك عاطفة
 لم أعن بالأجر لا مالا ولا نشيا
 بعد فترة ليست تكافئ أموالاً وإن كثرت
 لكن عانيت سعاداً أصطفيك لها

خميس في دهشة
 رفيقاً بربك قد حركت أشجاني
 أيقظة هذه أم حلم وستان
 يا ليت شعري أهي اليوم رضائي
 لا بل نتيجة تفكير وإمعان
 فأطرقت خجلاً لإطراق إذعان
 يارب معنى أبانت عنه عينان
 طلابها قبل هذا اليوم أعيان
 خميس الله أمنية قد لان جاعها
 الباشا أقنعت روعي فأقبل ما يعادها
 يدخل الشيخ جمعة في مرح مخاطباً نفسه

جمعة الحمد لله الذي أغثناني
 بعث بأغلى ثمن أقطاني
 بالمال والصحة والإيمان
 لم تبق أقساط على أطياني

خميس الباشا
 في «بنك» مصر صار لي ألفان
 أبي أبي قدم لي التاني
 ومثلها في المصرف العثماني
 هنته ياجعة بالقران
 فإنه صبرى منذ الآن
 جمعة في حركات عصية

أصبحت للباشا من الأصهار
 يا لصروف الفلك الدوار
 لقد بلغت منتهى أوطارى
 غنى معى يا معشر الأطيبار
 ورنلى شكرى للأقدار
 وبلغى كواكب الأسحار
 ما تلت من مجد ومن اكبار
 نسجت باليمين واليسار
 ثوبا من السؤدو والفخار
 يبلى أديم الليل والنهار
 لا كان عهد الذل والصغار
 من اكتسى بالذل فهو عار
 سحقا لثوب الشرف المعار

عثمان للمرضين يأياها المرضون هيا إلى من أوكاركم إليا
 إن الزفاف يومه تها فأنشدونا لحنه الشجيا
 المرضون ينشدون هذا الفشيد

ابتسم يا صباح
 غردى يا طيور
 كوكب السعد لاح
 فى سماء السرور

...

مرحبا مرحبا بالقران السعيد
 حل فى يومه ألف عيد وعيد
 أشرقت شمسه فى رواء جديد
 كل شىء به هاتف الفشيد

...

ابتسم يا صباح

أيها العرس في يومك البشر ساد
 أنت كل المنى أنت كل المراد
 اهتفوا عاليا من صميم الفؤاد
 يا خميس اتهيج واهتق ياسعاد
 ...

انتم يا صباح

بالقران اسعدا أيها الكوكبان
 وابلغا الأوج في ظل هذا القران
 انما واسلنا من صروف الزمان
 عشتا دائما دائما في أمان
 ...

انتم يا صباح

...

ستار

لأجل تمثيل الرواية يلجأ الحصول على إذن من المؤلف

نفسيتان عاتبتان

بين البحترى والمتنبى

لأستاذنا محمد محمود بدوي

يقول ، بيغور Buffon ، العالم الفرنسى فى حديثه عن الأسلوب : « ان أسلوب الشخص هو الشخص نفسه » . يريد بذلك أن أسلوب الكلام ، وطريقة عرض الفكرة ، هي الصورة التى تتبرر فيها خلال الشخص النفسية ، ومنهج في الفهم والتفكير .

وهذا القول صادق الى حد كبير . فان الكاتب والشاعر يتركان خصائصهما في أسلوبهما . ولستطيع أن نتبرر في هذا الأسلوب أعرق أغوار قلوبهما ، وأدق معالم نفسيتهما ، ومن هنا يعنى الناقدون عناية خاصة بدراسة الأسلوب ، فهو — فضلا عما فيه من عناصر الجمال الفني ، الذى يبعث في النفس اللذة والسرور — يعيننا على فهم حقائق نفسية كثيرة قد يغفلها التاريخ ، ولكننا نستشفها من خلال الأسلوب . والآن أعرض قصيدتين : احدهما للبحترى ، والاخرى للمتنبى ، قيلتاني غرض واحد هو العتاب ولكننا بالموازنة بين أسلوبيهما نلص بينهما فرقا هو الفرق بين نفسيتي قائليهما .

حدثت بين البحرى ومدوحه الوزير المتبحر بن حاتم نبوة أعرض عنه لسيفها
الفتح ، فأثأ الشاعر قصيدة يستل بها صحته ، وبدأتبه ، وحدثت بين المتنبى ومدوحه
سيف الدولة نبوة قال فيها المتنبى قصيدة عاتب بها أمير حلب .

موقف الشاعر بن من المدوحين جد مختلف ، والبحرى لا يعرف نفسه الا
مكانة المادح من المدوح ، مكانة الشاعر الذى ينعم علمه الفتح ، ويحزن إليه ، فإذا
أعرض عنه الوزير يوما رفقت الايام مشرب لشاعر وأظلمت الدنيا في عينه .
بينما البحرى لا يطمع فى أعلى من هذه المنزلة نرى المتنبى يضع نفسه بدا لسيف
الدولة ، له كل ما يمتاز به الامير من الشجاعة وبعد الهمة والسمو والنبيل ، وله فوق
ذلك أدبه الذى نظر إليه الاعمى ، وسمع كلماته الاصم ، فهو يمدح سيف الدولة
بالهبة والشجاعة التى تدفعه إلى الالم اذا هرب حدوده ، من غير أن يهزمه فى معركة
حرية ، فيقول له :

فوت العدو الذى يمه ظفر فى طيه أسف فى طيه نعم
قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع اليهم
ألزمت نفسك شيئا ليس يلزمها ألا يوارىهم أرض ولا علم
أكلما رمت جيشا فائتني هربا تصرف بك فى آثاره الهمم
عليك هزمهم فى كل معترك وما عليك هم عار اذا انهزموا
أما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر تصافحت فيه بيض الهند والهمم
فلا يكتفى المتنبى بمدح سيف الدولة وينسى نفسه ، بل يمتضى فى تعداد مزاياه
التي لا تقل عن مزايا أميره ، فهو شاعر معجز ، لا كفه له فى بلاط الامير ، أما
غيره فزعاقف ليست بعرب ولا عجم :

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم
بأى لفظ تقول الشعر زعنفه تجوز عندك لا عرب ولا عجم
ثم هو شجاع يخوض المعارك على جواد :

رجاه في كسر رجلي، والدان يد وفعه ما تريد الكف والقدم

وبسيف يمتني به من السوف ضاربا بحوض أمواج الموت :

ومرشد حرب من الجحافل به حتى ضربت ، وموج الموت يلتطم

ثم يشد هدا ليلت لي يجمع بين فضيلتي السيف والقلم ، وهو .

فالحبس والذل والبيداء ترفقني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فليس إذا الأمير صم إلا شاركة المتنبي فيها ، ويقول بعض الرواة إن أبا فراس

كان حاضرا هذا مجلسا لما أنشدت فيه تلك القصيدة فسأل المتنبي : وماذا أبقيت

إذا للأمير ، فلم يجبه الشاعر .

وطريقة الشاعرين في الاعتذار مختلفة كذلك اختلافهما واضحا : فالبحتري يتبرأ

من الذنب ينتميه عن نفسه ، ويدعي أن أوشاة والأعداء هم الذين أحدثوا هذا الجفاء

أما هو فليس وم حرم : وأكبر ضمة أن أن الفتح لا يأخذه بالمظنة ولا يستبيح حقه

ولأنه أجرم وأساء ، لقتل نفسه من الحسرة والندم فيقول :

ثناء العدا على فأخبت مسرعا وأوعمه الواشون حتى توها

أعيبك أن أحسبك من غير حادث نبيذ : أو جرم اليك تقسما

وأكبر طعن أنك لم تنكر تحلل بالطن الدمام المحرما

ولم عوف بدت ابني شقيته فأقتل عني حسرة ونسما

ولم يكسب بجرى بدت : من جأ إلى أدوب آخر أكثر بيانا من سابقه يعتذر

به ، فقال للفتح :

وإن كان دجيمته أه طنته لما كان غروا أن ألوم وتكرما

وينبغي الاعتذار بأساءت بلسر ثوب الاسترحام فيقول .

أقر بما لم أجنه متصلا إليك ، على أني إخالك ألوما

لي الذنب معوه ، وإن كنت جاهلا به ، ولك العتي على وأنما

ويس بعد ذلك درجة أقل من هذه ينزل إليها الاعتذار والاستعطاف .

أما المتنبي فيلأن ربه : ناهيهاجم أعداءه ، ويرميهم بالهزل والغفلة ويحذرهم

وينذرهم ، ويعيد سيف الدولة أن يستحسن منهم من كان ذا ورم :

يا أعرس الناس إلا في معاملتي فيك الخدام وأنت الخصم والحكم
أعيدها طرات منك صارقة أن تحسب الشجيم فيمن شجيمه وورم
ثم يقسو عليه حين يخاطبه قائلا:

وما انتفاع أخى الدنيا بشاطره إذا استوت عنده الانوار والظلم
والذى خفف من فسوة هذا الأسلوب أن الشاعر قال: وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
ولم يقل: وما انتفاعك بناظرك.

ثم يعود فيشجع نفسه، مدعيًا أن من المحال أن يلحقه عيب أو يد به نقصان مهما
بحثوا وقتشوا.

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذات الشيب والحرم
وإذا فلا اعتذار لأنه لا ذنب

ولننظر بعدئذ موقف الساعين من غضب صاحبهم أما البحرى فخائف حزين
يبيت فيرى سخط الأمير ليلا مع ليلين، يمارعه المخطط، فيرده كايلا، ويراجعه
القول، فيجتمجم فيه ولا ييسر، يشفق أن تكون نتيجة هذا الغضب فراق الوزير
وفراق العراق، بل يشفق من أن تكون نتيجة أشد من هذا وأقسى، فلا يستطيع العودة
إلى وطنه الشام سالما، فيستعطف صاحبه، ويذكره بما فيه من شعر حملة الركبان في
الشرق والغرب:

عديري من الأيام رنقن مشرب ولعيني نحسا من الطير أشاما
وأكسبني سخط امرئ بت موهنا أرى مسخطه ليلا مع الليل مظلم
وأصيد أن نازعته اللحظة رده كايلا، وإن راجعته القول جمعا
وقد كان سهلا واضحا فتوعدت رباه، وطلقنا ضاحكا فتجمعا
رأيت العراق ناكرتني وأقسمت على صروف الدهر أن أتشاما
وكان رجائي أن أموب مملكا فصار رجائي أن أموب مسلما
وما مانع مما توهمت غير أن تذكر بعض الانس أو تنهما
ألست الموالي فيك غر قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثناء كأن الروص منه منورا صهي . وكان الوشي فيه مسهما
 أما المتنبي فيهدد بالعراق . وينذر صاحبه بأنه هو الذي سيندم على هذا الفراق :
 أما الشاعر فعازم على نوى بعيدة تضعف عنها الابل السريعة ، ولم يبق لدى سيف
 الدولة . وقد أصبح بلا صديق يخلص له ، ويأمن اليه ، وما يناله من هبات الأمير
 وعطاياه مهما كثرت تصمه وتعييه ، لأن الرضا بالاهانة ذل لا يحتمله ، ولم يبق
 وهو يرى نفسه ذا المواهب العالية السامية مساويا من لاحظ له من هذه المواهب التي
 توجب له التفرد والامتياز . وإذا خلت البلاد من الصديق ، وأصبح كسب المرء بصره
 ويعيبه ، ولم تعد مواهبه كفيلة بأن ينال مكانته الخليفة به . فأولى له أن يرحل ومعه عزة
 نفسه وكرامته :

أرى النوى تقتضي كل مرحلة لا تستقل بها الوضاعة الرسم
 لأن تركن ضميرا عن ميامتنا ليحدثن لمن ودعتهن ندم
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراجلون هم
 شر البلاد مكان لا صديق به وشرما يكسب الانسان ما يهيم
 وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
 نرى إذا في هذين الأسلوبين نفسيتين مختلفتين إحداها وادعة هادئة تريد أن
 تعيش في سكون وراحة تنعم بالمال في ظلال الأمن يخفيها شبح الاعراض ، فتسعى
 لتجنبه بكل ما أوتيت من لين ولماقة . لا يتقل عليه الاستعطاف ولا يجد غضاضة
 في الاسترحام . بينما النفسية الثانية ثائرة متعالية . ترى نفسها أعظم من حولها .
 ولا تبيع عزتها من أجل البقاء في ظل عيش رغد وديع .
 قد نرى عند البحر ترى ثورة وفورانا ، ولكنها ثورة تنهى بالموادعة واللين ،
 فالثورة الوحيدة التي تارها في قصيدته هي قوله :

ولو أنني وقرت شعري وقاره وأجلت مدحي فيك أن يتعضا
 لا كبرت أن أوى اليك يا صبيح تضرع أو أدنى لمعدرة فا
 وكان الذي يأتي به الدهر هينا علي ، ولو كان الحمام المقدما

ونحنم بهذا البيت :

أعد نظرا فيما تسحطت هل ترى مقالا دنيا أو فعالا مدما
فثورته تنتهى بطلبه إعادة النظر في قضيته ليرى إن كان ثمة ما يدعو إلى إدانته ،
ولا تنتهى بالتحذير والوعيد الذى هو النتيجة الطبيعية للثورة .
وقد زى عند المنفى إلى جانب الثورة هدوءا ووداعة ولكنه هدوء الشخص
المعتز بنفسه ، ووداعة الحليل يعاتب خليله ، لا وداعة المولى يخاطب سيده .
فهو يقول :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يحسمى وحالى عنده سقم
مالى أ كتم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقسم
بل يرداد رقة حتى يقول :

إن كان سركم ما قال حامدنا فما لجرح إذا أرساكم ألم
يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدم
ولكنها رقة ليس فيها أثر للاستكانة ، وهى أشبه هذه التى تكون بين المحب
ومن يحب .

أحمد محمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

عيد الهجرة

أنت بشرى مدى الزمان تكرم	أسعد الكون ياهلال المحرم
راقصات النجوم حولك تنظم	أسعد النيل بالضياء فمضى
ساحر اللفظ بالبشائر معهم	ردد العود لحنا فتهادى
داعب العود بالنشيد المنعم	ونغمت لها الطيور بشدو
تنفح الكون بالاربع فينعم	وتثنت لها الزهور اخيالا
غازل الحسن في الرداء المنعم	وتبدي لها الصباح بورد
بين دنيا الأملاك بات ينعم	وتراعى لها المساء بشعر
هي أسمى من الهزار وأعظم	بعثته الى الملائك دار
فاذا الدهر راقص يستترنم	ينصت الدهر عندها فتغنى
من وفي الدار ياهلال المحرم	فهيثا لك النشيد تعالى

لأراها تلى الحقوق لتضم	ان نعمت فذاك دين عليها
زاهرات على الجباه تبسم	جنت بالبشر والبشائر ترى
أملأ كان بالجهالة يرج	لمحة النور من سنك أعادت
صرت فالأعلى الشهور تقدم	لا تزال الخيرات منك توالى
فهو لليمن والبشائر مغم	من تصدى له النبي بأنس

سادها الجهل والخطوب يحهم	كم ترامت لك العصور حيارى
عابس الوجه لا ينال فيقص	ليس الا الشفاء بسرح فيها

تابعته الاحداث من كل فج	أى خطب يروع فليتقدم
مدمع هاطل وقلب كسير	وشكاة لها الجبال تحطم
واذا جحفل الهداية يسرى	مشرق النور والدياجر تهزم
ذاك ضوء الرسول بظهر الكون	كشمس الضحى أغر مقسم

* * *

ساق للناس رحمة وصفاء	وكتابا منه الرشاد تعلم
ماجت البيد بالمطورو نادت	هل بدنيا الرياض مثلى بلسم
نفحات بها النفوس تسامى	وأريج به الخلائق تسلم
جاءه الغفل بالاذاة وتاهوا	فى ضلال من الخنادس أقم
ضحكت منهم الغواية يوما	ما لهذا النبي يعلو ويعظم
دونه الموت فليذقه بسيف	تلك بقيا لنا وذلك أحكم
فتعالوا له المساء لنحيا	سادة تأمر الزمان ونحكم
غير أن البشير قام ينادى	بين حفل من الملائك أعظم
خاب جمع الطغاة ذاك المفدى	ينقل الخطو والاصاغر نوم
من رعاه الرحمن عاش كريما	عقبريا من التوائب يعصم
ماست البيد بالاريج وكادت	راسيات الجبال تحنو وتبسم
والهضاب الفساح تهمس حيرى	مالدنيا القفار تشدو وتنغم
هاهو الليل يستحيل نهارا	وظباء الفلاة نشوى تنسم
وسموم الهجير عادت نسيما	خضل العطف بالشذى يتنسم
ياله موكبا تفر به العين	ويشرى بها الستين توسم
خير من ضاء فى البرية يسرى	باسم الثغر والملائك حوم

* * *

هات يا قبلة الرسول نشيدا	ساجعات الإطيار منه تعلم
ردد الشدو كابقسام الاماني	هاهو النور فى رباك تسلم

رفرف البين في حماك وعادت	رحمت الاله فوقك تسجم
صرت شمس العلاور من المعالي	والاماني على جبينك ترسم
من حياة الرسول خير وداد	فهو المجد الرجاء المقدم

* * *

ما الدنيا الاسلام تخضع للقيد	ودنيا الاعداء تجري وتقدم
قبسوا النور من حمانا فسادوا	يوم صرنا عن المنارة نحجم
عجب . أصبح الصغير أميرا	وأمر الزمان كاد يحطم
ناصروا الدين فهو خير دواء	ليس بعد الاسلام دين يكرم

محمود شافع

الطالب بدار العلوم

ابتسامة الزمان

طلعت على الوادى صباحا منورا
وهبت به من طيب رياك نفحة
شدتها على قلبي سلام ورحمة
بدوت كوجه الشمس في رونق الضحى
كأنك في ثغر الزمان ابتسامة
منحك ودى فاحفظيه تكرما
فما أضيع القلب الذى ظل هائما
وجئت لآى السحر فى الغيد مظهرا
فأضحى بها قلب الوجود معطرا
وان أشعلت نارا تهيج تسعرا
فهجت من الاشواق ما كان مضعرا
يفيض سناها عبقرى على الورى
وصونى قوادا فى الهوى ماتغيرا
اذا ما سباه الحسن ثم تنكرا

أحمد أبو المجد عيسى

الطالب بدار العلوم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
شخصية امرى القيس للاستاذ على النجدي ناصف	٣
نقى النقى تأكيد للنقى للدكتور ابراهيم أنيس	٢٣
بعض المذاهب الادبية للاستاذ عبد الحميد حسن	٣٣
الجمال الفنى فى كتاب البؤساء للاستاذ عبد الوهاب عنانى الخطيب	٣٩
ابن المعنز والقمر للاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٥٣
شوقى وقوميته للاستاذ محمد احمد الحوفى	٥٩
الجهاء المستعار للاستاذ محمود غنيم	٦٥
نفسيتان عاتبتان للاستاذ احمد احمد بدوى	٨٦
عيد الهجرة للطالب محمود شافع	٩٢
ابتسامة الزمان للطالب احمد أبو المجد عيسى	٩٥